مجاهد صالح الدقر
تلفون ٢٢٦٧٧

Cat. Feb. 1951

892.73
Ha438kA
v.2

قصص توفيق الحكيم

Cat. Feb. 1951

المجموعة الثانية

77088

وكالة العرب
لصاحبها
السيد وصفي توفيق البستاني
شارع الفجالة
بمصر

دار سعد مصر

UNIVERSITY OF DELAWARE LIBRARY

كتب توفيق الحكيم

التى نشرت فى اللغة العربية

محمد

الطبعة الأولى :
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر)
الطبعة الثانية :
(مطبعة المعارف عام ١٩٣٦)

شهر زاد

الطبعة الأولى :
(مطبعة دار الكتب عام ١٩٣٤)
الطبعة الثانية :
(مطبعة التوكل عام ١٩٤٤)

أهل الكهف

الطبعة الأولى :
(مطبعة مصر عام ١٩٣٣)
الطبعة الثانية :
(مطبعة الاعتماد عام ١٩٣٣)
الطبعة الثالثة :
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٤٠)
الطبعة الرابعة :
(مطبعة التوكل عام ١٩٤٥)
الطبعة الخامسة :
(المطبعة النموذجية عام ١٩٤٨)

عودة الروح
فى جزئين

الطبعة الأولى :
(مطبعة الرغائب عام ١٩٣٤)
الطبعة الثانية :
(مطبعة المعارف عام ١٩٤٦)

تابع الكتب التى نشرت فى اللغة العربية

تحت شمس الفكر

الطبعة الاولى :
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨)
الطبعة الثانية : (مطبعة التوكل عام ١٩٤١)
الطبعة الثالثة : (مطبعة سعد مصر عام ١٩٤٥)

تاريخ حياة معدة

الطبعة الاولى :
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨)
الطبعة الثانية :
(مطبعة سعد مصر عام ١٩٤٥)

عهد الشيطان

الطبعة الاولى :
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨)
الطبعة الثانية :
(مطبعة التوكل عام ١٩٤٢)

براكسا او مشكلة الحكم

(مطبعة التوكل عام ١٩٣٩)

راقصة المعبد

الطبعة الاولى :
(مطبعة التوكل عام ١٩٣٩)
الطبعة الثانية :
(مطبعة التوكل عام ١٩٤٠)

تابع الكتب التى نشرت فى اللغة العربية

نشيد الانشاد (مطبعة مصر عام ١٩٤٠)

حمار الحكيم
الطبعة الاولى
(مطبعة التوكل عام ١٩٤٠)
الطبعة الثانية :
(مطبعة التوكل عام ١٩٤٢)

سلطان الظلام
الطبعة الاولى :
(مطبعة التوكل عام ١٩٤١)
الطبعة الثانية .
(مطبعة التوكل عام ١٩٤٢)

من البرج العاجى (مطبعة التوكل عام ١٩٤١)

تحت المصباح الأخضر (مطبعة التوكل عام ١٩٤٢)

بجماليون
الطبعة الاولى : (مطبعة التوكل عام ١٩٤٢)
الطبعة الثانية : (مطبعة التوكل عام ١٩٤٤)

تابع الكتب التى نشرت فى اللغة العربية

أهل الفن
(مطبعة دار الهلال عام ١٩٣٤)

مسرحيات توفيق الحكيم
المجلد الاول ويشمل قصص : سر المنتحرة ، نهر الجنون ، رصاصة فى القلب ، جنسنا اللطيف .
(مطبعة الاعتماد عام ١٩٣٧)

القصر المسحور
بالاشتراك مع الدكتور طه حسين بك
(مطبعة دار النشر الحديث عام ١٩٣٦)

مسرحيات توفيق الحكيم
المجلد الثانى : ويشمل قصص : الخروج من الجنة أو الملهمة . أمام شباك التذاكر . الزمار . حياة تحطمت .
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٧)

يوميات نائب فى الأرياف
الطبعة الاولى :
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٧)
الطبعة الثانية لحساب وزارة المعارف العمومية
(مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر عام ١٩٣٧)

عصفور من الشرق
الطبعة الاولى :
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨)
الطبعة الثانية :
(مطبعة التوكل عام ١٩٤١)
الطبعة الثالثة :
(مطبعة التوكل عام ١٩٤٣)

تابع الكتب التى نشرت فى اللغة العربية

سليمان الحكيم — الطبعة الاولى : (مطبعة التوكل عام ١٩٤٣)
الطبعة الثانية : (المطبعة النموذجية عام ١٩٤٩)

زهرة العمر — الطبعة الاولى :
(مطبعة التوكل عام ١٩٤٣)
الطبعة الثانية :
(مطبعة التوكل عام ١٩٤٤)

رصاصة فى القلب . (مطبعة التوكل عام ١٩٤٤)

الرباط المقدس : (مطبعة سعد مصر عام ١٩٤٤)

حمارى قال لى . (مطبعة المعارف عام ١٩٤٥)

شجرة الحكم . (مطبعة التوكل عام ١٩٤٥)

الملك أوديب : (المطبعة النموذجية عام ١٩٤٨)

قصص توفيق الحكيم: المجموعة الأولى (مطبعة دار سعد مصر ١٩٤٩)
قصص توفيق الحكيم: المجموعة الثانية (مطبعة دار سعد مصر ١٩٤٩)

كتب توفيق الحكيم

التى نشرت فى لغة أجنبية

شهرزاد

وترجم ونشر فى باريس عام ١٩٣٦ بمقدمة لجورج ليسكونت عضو الاكاديمية الفرنسية .
وترجم الى الانجليزية ونشرت مختارات منه فى دار النشر (بيلوت) بلندن ، ثم فى دار النشر (كراون) بنيويورك . فى عام ١٩٤٥

عودة الروح

ترجم ونشر بالروسية فى لينتجراد عام ١٩٣٥
وبالفرنسية فى باريس عام ١٩٣٧
وبالانجليزية ونشرت مختارات منه فى لندن عام ١٩٤٢

يوميات نائب فى الأرياف

ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٣٩ بمقدمة للدكتور حافظ عفيفى باشا . (طبعة أولى)
وفى عام ١٩٤٢ (طبعة ثانية)
وترجم ونشر باللغة العبرية عام ١٩٤٥ وترجم ونشر باللغة الانجليزية فى دار (هارفيل) للنشر بلندن عام ١٩٤٧ . وترجم إلى الاسبانية فى مدريد عام ١٩٤٨ .

أهل الكهف

ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٠ بتمهيد تاريخى لجاستون فييت مدير دار الاثار العربية
ثم ترجم إلى الايطالية بروما عام ١٩٤٠

عصفور من الشرق

ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤١

الدنيا رواية

الدنيا رواية حقا فى نظر أولئك الذين يؤمنون بنظرية حلول الروح . تلك النظرية التى تزعم أن عدد الأرواح فى الكون محدود ، كما أن عدد الممثلين فى المسرح محدود . وأن الذى يتغير هو الأدوار التى يتقمصها أولئك الممثلون . وهى أدوار لا حد لها ولا عد ولا نهاية ، فى تلك الرواية الاستعراضية العظمى ! . .

إذا سايرنا أصحاب هذا الزعم فى زعمهم ، فان الصورة التى يمكن رسمها للدنيا تبدو جديرة بالتأمل . ومن السهل تخيل الأرواح فى ظهورها واختفائها فوق مسرح الدنيا ، على الوجه الذى يحدث بالضبط فى المسارح التمثيلية . فهنالك ، مثلا ،

بعيدا عن هذه الأرض وشمسها وقمرها ، مكان خفى ، يمكن أن تتصور فيه ، ملاكا يقوم بوظيفة — الريجيسير — أى مدير المسرح ، يعطى الإشارة للشمس والقمر ، فتسلط الأولى أشعتها الذهبية القوية ، والآخر أشعته الشاحبة الفضية على سطح الأرض . . كما تسلط مصابيح « البروجكتور » الكهربائية على خشبة دار التمثيل . ولا بأس من أن نتخيل ذلك « الملاك » فى مكانه هذ يباشر أعماله اليومية ، وينظر فى « اللوح » الذى أمامه ، المسطور فيه الأدوار والأقدار ، ويستعرض ألوف الأرواح المهيأة للظهور على مسرح الدنيا ، ويستقبل الألوف من الأرواح الخارجة منه . . . ولا ضير أيضا فى أن نطلق الخيال أبعد من ذلك ، لينسج لنا قصة روح من بين تلك الأرواح العائدة . . .

ظهر الروح الذى نروى قصته ، خارجا من الدنيا وهو مدهوش مذهول ، كمن أفاق فجأة من نوم عميق ، وهو يردد هذه العبارة :

— يقولون إنى مت ! . . . أأنا الآن ميت حقيقة ! !

زوجتى التى تتحطم تفجعا ، تصيح بأنى أموت ، وأنى مت أخبرونى أيها السادة . . . هل أنا حقا ميت ؟ ! !

ولم يلتفت اليه « الملاك » المنهمك فى أعماله ، الشاخص ببصره إلى اللوح الذى أمامه ، والسجل الذى بين يديه ، واكتفى بأن هز رأسه وقال كالمخاطب لنفسه :

— كلكم هكذا . . . لا تريدون أن تصدقوا أنكم متم . ماذا أصنع لكم ؟ . . أنا .. ليس لدى وقت أنفقه فى إقناعكم وإقامة الأدلة والبراهين لحضراتكم . تقدم يا . . ماذا كان دورك فى الدنيا هذه المرة ؟ . .

— كنت طبيبا . وكانت لى زوجة . . . آه . . إن زوجتى هى التى تموت الآن ولا شك حزنا على أنا . . . يا المسكينة ! .

ونسى ذلك الطبيب أو — روحه — كل ما حوله ، وراح يذكر كل دقيقة من دقائق حياته التى يؤكدون له أنها انتهت . . . كان طبيبا جراحا ناجحا . تخرج فى كلية الطب

متفوقا ، وكل شيء يبتسم له ، لقد كان من أولئك القلائل الذين ينالون دائما ما يريدون ، كان حسن المنظر لطيف المعشر ، يظفر بنظرات كل ممرضة وطالبة . لكنه كان يعتقد أن هناك إمرأة واحدة لا بد أن تستحوذ على كل قلبه وفكره وجسمه ، ولا بد لها أن تأتى يوما ، إنه أرادها ولا بد له أن ينالها فالقدر قد عوده أن ينيله كل ما يتمنى ، فالنجاح فى مهنته تمناه ففاز به ، وقد تمنى المال والترف ، فجاءه المال من عمله ومن ميراث عائلى . وهو بعد ذلك يتمنى أن يلقى الزوجة التى يعطيها حياته وكده وكسبه . . . فوجدها ذات يوم فى صورة مريضة ، أتت ليجرى لها عملية استئصال الزائدة الدودية . ما أن وقع بصره عليها حتى اضطرب . أترى الأرواح تتلاقى حقا ؟ كيف تلاقت روحاهما من النظرة الأولى ! ؟ وكان من المستحيل عليه أن يتصور أنه هو الذى يجرى لها الجراحة بيده ، ويشق جسدها بمديته . إن قلبه لن يحتمل ذلك . واعتذر لها ولأهلها بشتى الحجج ، وعهد بأمرها إلى جراح آخر قال

إنه أمهر منه . ولم تدرك هى معنى ذلك الاعتذار إلا يوم فاتحها قائلا : « لقد خلقت لأكون زوجك لا جراحك » . . . وكانت هذه الزوجة كل شىء فى حياته . وكان هو كل شىء فى حياتها . ما من كائنين اتفقا والتصقا وأصبحا كائنا واحداً مثل هذين الزوجين كانت زوجته تقول له يوم ترى جرحا فى إصبعه : « يا للعجب ! كأن الألم فى إصبعى أنا . أهو وهم ، أهو حقيقة ؟ كيف ينتقل الوجع المادى من أصبعك إلى أصبعى هكذا أيها العزيز » وكان هو يقول لها : « العجيب حقا هو أن كلامك هذا هو عين ما عندى . لقد شعرت فعلا يوم جئتنى لأشق جسدك ، كأن المشرط سيشق جسدى أنا ، وأنا بالطبع باعتبارى جراحك لن أعطى مثلك البنج ، فتصورى جراحة تجرى لى بغير بنج ، بينما أنت المريضة لا تحسين الألم ! » وعاش هذان الزوجان السعيدان أعواما كلها هناء . ولم ينجبا أولاداً . ولم يحل ذلك دون تعلق أحدهما بالآخر . . . . بل لقد كرها الأطفال حتى لا يسمحا لغيمة أسف أن تخيم على حبهما . إنهما هكذا ناعمان

أحدهما يكفي الآخر . ولا حاجة لهما بثالث . . وجاء اليوم المشئوم . . . فقد نهض على عادته في الصباح المبكر لإجراء عملية جراحية ، ولكن زوجته أحست في ذلك اليوم خطرا . . . وتنبأت بكارثة ، كما تتنبأ آلة الرصد بكسوف الشمس . فتوسلت إليه أن يبقى معها ذلك النهار . فأبى التقصير في واجبه . إن مرضاه في انتظاره . فادعت المرض . فلاطفها ، وداعبها حتى كشف بظرف عن تحايلها ، وقبلها قبلة طويلة ، وانفلت من بين ذراعيها المتشبثتين بعنقه . وتركها جامدة كالتمثال . . . وفي الظهر عاد ، وفي جسمه السم . فقد شرط قفازه أثناء الجراحة ، وسرى الداء في دمه من أصبع مجروحة ، واجتمع حول فراشه أساتذة الطب وأساطين العلم لينقذوه من الموت . ومن خلفهم زوجة تموت وتحيا مع كل نفس من أنفاس قرينها الحبيب . . . ولكن . . كان الموعد محدداً لانتهاء دوره في الحياة عند هذا الموقف . وكان على الروح في ذلك الوقت أن يخلع الجسد كما يخلع الممثل ثياب التمثيل . وعندما كان يسلم النفس الأخير ،

بين شهقات امرأته المكتومة ، وبريق دمعها المنساب ، ووقفتها المترنحة المتجلدة ، وابتسامتها المموهة الدامية خيل اليه أنه يرى الحقيقة تضطرب فى الظلام خلف عتبة الحياة . نعم ، الحقيقة هى أن الحياة ليست حقيقة . كان إحساسه إحساس ذلك الممثل الذى عاش دوره ، ونسى أمره ، وأبكى الحاضرين وبكى هو نفسه ، إلى أن فرغ من الموقف الأخير ، وشعر بنزول الستار ، فالتفت ، فاذا عينه تلمح فى الظلام « الكواليس » بما فيه ومن فيه ، فسكن ثائره ، ورفع يده ليمسح دمعه ، قبل أن يدلف إلى داخل المسرح فيسخر منه زملاؤه ويسخر هو من نفسه . ولكن عبرات المشاهدين كانت ترده اليهم وإلى التعلق بهم وبدوره . فالعواطف فى ذاتها حقيقة . . كذلك الطبيب المحتضر . . . خطر له أن يبسم لزوجته الثكلى ، وأن يهمس لها أن الأمر زيف فى زيف ، ولكن . . . كيف يكون كل هذا الحب زيفا . . . مهما يكن ما بعد الحياة ، وما بعد التمثيل فإن الدموع فى ذاتها جديرة بالإحترام ، والحب فى ذاته أجل

من أن يهزأ به . إن الحب حقيقة ، وإن ما يربطه بزوجته لا يمكن أن يخلع مع رداء التمثيل ، ولو اجتمعت عليه كل ملائكة السماء ! . . وهكذا ترك الميت خشبة « الأرض » وخلع رداء جسده ، ودخل على « الملاك » المدبر ، روحاً عارياً مجرداً . .

ولم يحس بعد فرقاً كبيراً بين ما كان منذ لحظة وما يكون الآن . أين هو ذلك الموت الذين يقولون عنه ؟ ما الذى تغير فيه ؟ ها هو ذا يحب زوجته حباً جنونياً . . وكل أمله أن يلقاها . . ولكنه لا يستطيع . . لأنه ميت ، كما يقولون . إذ يراها . ويرى جزعها ، ويريد أن يمد يده اليها ، وأن يحادثها ليهون عليها . ولكن صوته لا يبلغها ، ويده لا تطيع إرادته . ما من أعضاء مادية تأتمر الساعة بأمره . كأنها أشياء منفصلة عنه . لا يملك تحريكها ، حاله الآن كحاله . عندما كان ينتابه فى الدنيا كابوس فيريد وهو فى فراشه أن يتحرك ، ولكن إرادته لا تطاع . . . إنه الآن إرادة مطلقة فى الهواء لا تسيطر على اجسام ، ووعى مطلق فى الفضاء لا يؤثر فى اشخاص ، عدا ذلك فهو هو لم يتغير

فمن يدريه أن هذا موت؟ لعله نوم عميق أو حلم عابر أو كابوس مؤقت !.

والتفت مرة أخرى إلى « الملاك » المنهمك فى أعماله وقال له :

ـ أنا لا أحس أنى ميت .

فنظر إليه « الملاك » نظرة شزراء وقال :

ـ أنت حر .

ـ أريد أن أعود إلى زوجتى .

ـ قل هذا لعزرائيل من فضلك .

ـ عزرائيل أتمزح ؟؟

فلم يتمالك « الملاك » وقال نافد الصبر :

ـ ليس عندى وقت للمزاح يا سيدى . آه ، لو درى عزرائيل الذى لا تبطل له شكوى من كثرة أعماله ، لمجرد قبضه عدة أرواح كل يوم ، ينفض بعدها يديه ويستريح . أما أنا فيجب على أن أقاسى من أرواحه ، وأتحمل حماقاتها ، وأصغى

إلى ثرثرتها ، يا حضرة الفاضل .. ألم يقبضك عزرائيل ؟ كيف تريد إذن منى أن أعيدك إلى زوجتك ؟ وإذا كان كل روح يقبضها زميلى أعيدها أنا ، فما الفائدة إذن من قبض الأرواح ؟ !

ـ أنا شخصيا لا أرى فائدة . لقد كنت مع زوجتى فى أتم هناء . فلماذا تتدخلون أنتم لتفرقوا بين المحبين ؟ !

ـ لا نستطيع يا سيدى الفاضل أن نتركك فى هـذا الدور ، أعنى فى هذا الجسد كما تحب أنت وتشاء ، لأن روحك تلزمنا فى عمل آخر .

ـ عمل آخر ؟

ـ طبعا لا بد لك من جسد آخر تحل فيه ، ودور آخر تقوم به . وهل تظن أن هذا كان أول أدوارك أو آخرها ؟ . لقد سبق لك أن حللت فى مئات الأجساد ، وقمت بمئات الأدوار .

ـ أنا ؟ أنا سبق لى أن كنت شيئا آخر غير زوج يحب

زوجته ، وطبيب جراح فى ...

فابتسم « الملاك » ابتسامة الساخر المتبرم ، الرائى لجهل محدثه . وأخذ يقلب فى صمت صفحات سجله الضخم ، إلى أن وقف على صفحة ، نظر فيها لحظة ثم قال :

ـــ إسمع يا سيدى .. قبل أن تكون زوجا وطبيبا ، كنت لصا سكيرا ، فتك براقصة فى ملهى ليسرق حليها .. ومات على المشنقة :

ـــ أنا ؟ !

ـــ انتظر ... ثم كنت قبل ذلك جنديا بسيطا قتل فى معركة . ثم كنت طفلا مات بالدفتريا ، ثم كنت إمرأة ماتت فى الوضع .. ثم كنت رجل دين مات بالشيخوخة ، ثم أميرا مات مسموما . ثم كنت ساحراً هنديا لدغته أفعى ، ثم كنت فتاة انتحرت فى حادثة غرامية ..

ـــ كفى . كفى . إنى لست مجنونا لأصدق هذا الهراء . أنا طبيب جراح . ولى زوجة أحبها ، وإذا لم ألحق بها فهى لا بد

لاحقة بى. ولن أصدق أبداً أنى كنت أمثل دوراً . فنظر اليه « الملاك » بابتسامته الهازئة وقال :

ـ كل مرة كنت تقول لى عين هذا الكلام . أنت وغيرك إنكم لا تصدقون أن هذا كان تمثيلا .

ـ تمثيلا ؟ . . . حبها لى وحبى لها . . . وحياتنا معا التى لا تتصور حياة غيرها ! . . لا . . لا . .

ـ إنك لم تزل واقعا تحت تأثير دورك . . إلى أن تذهب إلى البحر ، فتغسل ذلك الطلاء ، وتزيل ذلك « المكياج » عندئذ فقط تكون على استعداد لارتداء الدور الجديد .

وأشار « الملاك » إلى أحد مساعديه الجديدين ، إشارة ذات معنى ، فتقدم ليقود روح الطبيب ، ولكنه وقف ونظر إلى عتبة الباب وقال لرئيسه :

ـ عزرائيل أرسل الينا روح امرأة .

ولم يكد يتم كلامه حتى ظهرت بالباب روح الزوجة ، وما كاد يرى روح الزوج الطبيب روح زوجته ، حتى صاح

فرحا :

— ألم أقل إنها لا بد لاحقة بى !

واندفع كل منهما نحو الآخر . وقالت روح الزوجة :

— آه يا زوجى العزيز ... لم أستطع البقاء هناك بعدك . لقد كانت ليلة فظيعة .. تلك التى رأيت نفسى فيها وحيدة بدونك ، أناديك فى الظلام .. ولم أتمالك نفسى عند الفجر ، وأنا محطمة الأعصاب فتناولت كل ما كان بجوارى من أقراص الأسبيرين طالبة النوم الأبدى ، والراحة السرمدية ، أو اللحاق بك ، وها هو ذا أملى يتحقق وأراك . كيف أنت ؟ أخبرنى . إنك بخير فيما أرى ، كيف قالوا إذن أنك مت ؟ أنا أيضا لست ميتة فيما أعتقد . كنت أتمنى الموت .. وقد شعرت ، عندما استدعوا الطبيب والإسعاف بعد تناولى الأقراص ، أنهم يهمسون حولى بكلمة « الموت » ولكن .. أين هو الموت ؟ ! أين هو ذلك « الموت » ؟ !

ولم يستطع « الملاك » صبراً .. فنفخ صائحا :

ـــ أف ! .. لعنة الله على هذه المهنة ! .

* * *

طفق الروحان يثرثران كالأطفال ، وقد أعماهما الفرح عن كل ما عداهما ، ولم يحفلا بمن حولهما ، وأدرك « الملاك » أنهما لن يفرغا من الحديث ، إذا تركا وشأنهما ، فأومأ إلى مساعده أن يقودهما إلى حيث يغسلان عنهما آثار دوريهما .. إلى « ... بحر النسيان » .

واتجه المساعد نحوهما ليذهب بهما ، فحفلا منه . وابتعدا عنه ، والتفتا إلى « الملاك » صائحين :

ـــ أيراد التفريق بيننا هاهنا أيضا ؟

ـــ لابد من ذلك .

ـــ نتوسل إليك .. نتوسل إليك أن تدعنا معا دائما . فى كل مكان ، وفى كل زمن ، وفى كل دنيا .. ماذا يكلفك هذا أيها الملاك اللطيف ؟

ـــ هذا قد يحدث لنا بعض الارتباك فى العمل .

قالها بصوت بدت فيه رنة لين ، فمضى الزوجان فى الإلحاح.

ــ نتوسل إليك . مثلك لن يعدم وسيلة . إجمعنا دائما ولا تفرق بيننا أبداً .

ــ سأرى ... سأرى ... ربما دبرت لكما ذلك . لكن اذهبا الآن قبل كل شىء واغتسلا فى البحر .

ــ شكرا لك ...

لفظها الزوجان بحرارة وفرح ... وذهبا فى الحال مع المساعد صاغرين إلى بحر النسيان .

وهنا وجدا بحراً هائلا ، له شاطىء جميل مثل شواطىء المصايف الشهيرة . والبحر يعج بالأرواح السابحة فيه . فخلب لبهما المنظر . واندفعا إلى البحر ضاحكين سعيدين كما كانا فى الدنيا .

وقفزا معا إلى الماء ، يتناغيان بأرق الأسماء وغمرهما موج أبيض كأنه رغوة الصابون ...

فاذا هما بحسان كأن شيئا يزول عنهما رويداً رويداً . . .

وإذا كل منهما يردد من أعماق نفسه متعجبا متسائلا : « من أنا ومن هذا الذى بجوارى ؟ » وخرج من هذا البحر من خرج اذعانا لأوامر المساعدين ، وبقيا هما حتى أشار إليهما المساعد الموكل بهما ، فخرجا كما تخرج اللوحة المكتوبة من الماء . . . لا أثر فى نفسيهما لحرف واحد من حروف حياتهما الماضية ، وأعادهما المساعد إلى « الملاك » وقد جاءت نوبتهما فى المثول أمامه ، لتوزيع الأدوار الجديدة ، فسأل كلا منهما :

— هل تعرف من أنت ؟ وأين كنت ؟ . وهل تعرف من هذا الذى بجوارك ؟

فأشار كل منهما بالنفى . فقال « الملاك » كالمخاطب لنفسه وهو يراجع سجله الضخم :

— إنى وعدت مع ذلك أن أجمعكما مرة أخرى . . لدى دوران يصلحان لذلك ، فلتكن أنت إذن طياراً رياضيا . وأنت فتاة عاطفية . . أيها المساعد . . اقذف بهما إلى مسرح

« الأرض »

كل شيء كان قد أعد ليطير ؛ هو ، طياراً ، فقد خرج إلى الدنيا طفلا فى أسرة متوسطة المركز طيبة المنبت ، وشغف فى حداثته بالألعاب الرياضية ، وغدا فتى وتعلم فى المدارس ، وأصبحت له ميول وموجهات ، بعضها يدافع البعض ، ولكن الظروف النهائية وجهته على الرغم من كل شيء إلى الطيران ، فدرسه ، والتحق بإحدى شركات الملاحة الجوية . أما « هى » فقد شبت خيالية النزعة مدللة مترفة فى أسرة ميسورة الحال ، مفككة الأخلاق ، الأب مشغول بنفسه وملاهيه ، والأم ساذجة ضعيفة الإرادة ، وولعت الفتاة بالرقص والحياة الصاخبة الحديثة . وكان « هو » فى طرف من المجتمع و « هى » فى طرف ولم يكن من السهل أن يلتقيا . فهو لا يرتاد المجتمعات التى ترتادها هى ، ومع ذلك فقد كان لا بد لهما من التلاقى . . . وقد حدث . . .

كان يقود طائرته ذات يوم . وكان الباب الصغير الذى يفصل بين مكان قيادته وبين مكان الركاب مفتوحا على غير العادة ، فلمح فى أحد المقاعد فتاة تقرأ إحدى المجلات . ما كاد يراها حتى ارتجف ، وارتجفت معه الطائرة بمن فيها ، فقد غفل لحظة عن قيادتها . وانزعج الركاب قليلا ، ورفعت الفتاة أهدابها الطويلة . فتقابلت عيناهما . وعجب مهندس اللاسلكى لما حدث ونظر إلى الطيار بجواره ، فألفاه يصيح بين ضوضاء المحركات قائلا : « إنى أعرفها . أين رأيتها ؟ متى رأيتها ؟ » . وما كاد يهبط بالطائرة فى مطار الوصول ، حتى قفز منها وتبع الفتاة ، وتقدم يخاطبها كأنه يعرفها من قبل . أما هى فلم تنهره ولم تغضب منه ، بل أحست الارتياح والرضا ، وشيئا من الاطمئنان الخفى إلى هذا الشاب . ومضى هو يقول باخلاص حار :

— إنى آسف إذ أضطر أن أقول لك تلك العبارة التى ابتذلها الشبان اليوم : « أين رأيتك من قبل ؟ » ثق إنى لا أتخذها حجة لمحادثتك . . ولكنى . . عندما وقع بصرى عليك شعرت فى

الحال أنى أعرفك وأنى رأيتك فى مكان ما ، انتظرى ... ربما تلاقينا آخر مرة فى ... فى بحر ؟...

فأجابت باسمة :

— من الجائز ... فى « بلاج » من هذه « البلاجات » ...

— ربما ... أخشى أن تكون الطائرة قد أزعجتك عندما ارتجفت .

— لا .. إنى فقط عندهبوط الطائرة ، أحس عادة بعض الصداع . ولكن عندى دواء لذلك ..

— قرص واحد من الأسبيرين يكفى .

فظهر فجأة الارتياع على وجه الفتاة وهمست :

— اسبيرين ! .. أرجوك ... لا تلفظ هذه الكلمة ، لا أمقت شيئا مثل ما أمقت الأسبيرين . ربما اتهمتنى بالخبل . ولكنى منذ صغرى ارتاع لمجرد رؤيته .. سامحنى .. هنالك أشياء تولد فينا ولا نستطيع لها تعليلا .

— لا تؤاخذينى .. إنى آسف .. لم أقصد إيذاءك قط .

ـــ أعلم ذلك . هذا ليس ذنبك . إنما هى نزوة من نزواتى ليس لها من مبرر . ألا يتفق ذلك أحيانا لكثير من الناس ؟ ألا يحدث لك أنت أيضا أن تكره شيئا بدون سبب ؟

ـــ نعم . . نعم . . حقيقة : أنا أيضا فى الصغر كنت أحس الإغماء كلما ذكرت امامى كلمة « عملية جراحية » . وعبثا حاول أهلى تعليل ذلك . ولكن هذه الحالة زالت بزوال عهد الصبا . . واصبحت بعدئذ شخصا عاديا . .

ـــ أرأيت ؟ فينا أشياء كثيرة متقاربة .

ـــ هذا من حسن حظى .

* * *

منذ تلك المحادثة الأولى ، وهما يشعران كأن شيئا يجذب أحدهما إلى الآخر . ولم يمض قليل حتى تم بينهما الزواج ، ولكن ... مرت الأيام وكل منهما يلحظ أنه يسير فى طريق غير طريق الآخر . هو يأتى من عمله متعبا فيجد المنزل يصخب بأنغام « الرومبا » و « الفوكس تروت » و « الهوجى بوجى »

فينبهها برفق :

— أما تكفينى طول النهار ضوضاء المحركات ! .

فتجيبه بتبرم :

— محركات ؟ ! هذا كل ما تعرفه . أنت لست «رومانتيك» وكان يبلسع هذا الخلاف بينهما فى الاتجاهات . وكان يعلل النفس بأن هذا طيش قد تمحوه الأمومة . وأنجب منها طفلين جميلين ولكن الأمومة لم تقهر عندها المزاج . بل المزاج هو الذى قهر الأمومة ... وأمسى الزوج الطيب يجد ليالى زوجته مشغولة كلها بالحفلات والسهرات . وتعدى الأمر إلى ما هو أمر . فقد دخل عليها يوما فوجد لديها شابا لا يعرفه . زعمت أنه من رفاق الطفولة ، وأنه أخوها فى الرضاع وكان بين الزوج وزوجته شجار ، حسمه الزوج بالحسنى مراعاة لأولاده . ولكنه أدرك عندئذ أن علة شقائه فى الحياة هى هذه المرأة . وكرت الليالى حمراء بالنسبة إلى الزوجة اللعوب ، بيضاء من السهاد ، سوداء من الهم ، بالنسبة إلى الزوج المنكود . ولم يعد يحسن عمله لقلة

نومه واعتلال صحته وسمع همسا فى الشركة المتذمرة ينذر بالشر، كما سمع همسا عن سلوك امرأته يندى له الجبين الحر. وأكلت نفسه الهموم، ونخرت فى قلبه الشكوك ... وفى ذات ليلة دهم زوجته وهى فى أحضان شاب .. فارتاعت وقالت متلعثمة إنه معلم رقص يعلمها الرقصة الجديدة وفقد الزوج صوابه فأخرج مسدسه وأطلق على زوجته رصاصة أردتها قتيلا. وقفز « معلم الرقص » المزعوم قفزة « فوكس تروت » من أعلى السلم وهرب كما يهرب الثعلب من حظيرة الدجاجة . . وسمع الجيران الطلق الناري ، فصاحوا ، وأقبل « البوليس » ينفخ فى صفارته وثاب الزوج إلى رشده ، وفطن إلى الفضيحة ، فأفرغ فى رأسه رصاصة أخرى أردته قتيلا هو الآخر ...

* * *

ورفع « الملاك » بصره من فوق سجله الضخم على شجار روحين داخلين عليه ... أحدهما يقول للآخر :

ـــ سخيف ! . أقسم أنك سخيف . تطلق على مسدسك

لسبب تافه كهذا ؟ ! ما أضيق ذهنك أيها الزوج المغفل ! . . ولكن هل ينتظر من مثلك تصرف غير هذا ! ؟ إنك طول عمرك كنت زوجا مغفلا ! . .

ـ اسكتى أيتها المرأة لا داعى لسلاطة اللسان ! . ولكن الذنب ليس ذنبك . . الذنب ذنبى أنا . . لا شك أنى جننت حتى أقتلك وأقتل نفسى معك فى نفس الوقت . ما الفائدة ؟ . ماذا فعلت أنا إذن ؟ . . ها أنت ذي معى هنا أيضا . . . يا للمصيبة ! . . ياللمصيبة ! . .

* * *

ولم يجد « الملاك » بدا من التدخل ، فصاح فيهما طالبا إليهما السكون واحترام المكان . . فتقدم إليه الزوج ـ أو على الأصح روحه ـ صارخا متوسلا :

ـ ياملائكة السماء ! . . ياشياطين جهنم ! . ياعفاريت الجن . . . خلصونى من هذه المرأة ! .

نصیب

فى حياة كل رجل لحظة يشعر فيها فجأة بأنه مثل غطاء الطبق الذى لا يجد طبقه ، والويل لمن لا يفطن إلى هذا الشعور إلا متأخراً ، إنه يترك عندئذ كل شىء وينقلب مجنونا بتلك الفكرة المسيطرة : البحث عن شطره الآخر . كان بطل هذه القصة من هذا النوع من الرجال . شاب مجد طموح تخرج فى الجامعات مهندسا بارعا . درس فى مصر ثم فى الخارج وكان فى مقدمة أقرانه دائما . لا يعرف غير العمل ولا تنظر عيناه غير طريق مستقبله الناجح . وقد ركض فى هذا الطريق بالفعل حتى بلغ درجة ـ مدير أعمال ـ وكاد يشرف على الخامسة والثلاثين وهو مستغرق هذا الاستغراق

فى عمله الهندسى . وإذا بغتة تدهمه هذه اللحظة الحاسمة . وإذا هذا الغطاء الذى كان يجرى على — سنه — ناهبا الأرض كأنه كل شىء ، قد اصطدم بجدار تلك اللحظة — العجيبة — فوقف ودار حول نفسه دورات ثم انبطح على ظهره ورن معدنه رنينا مكتوما وكأنه يهمس : ما أنت إلا غطاء الطبق ! وأفاق المهندس بعدئذ وليس فى رأسه غير فكرة واحدة : الزواج .

دهش أصدقاؤه لرنين هذه الكلمة فى فمه ، فهم لم يسمعوها قط منه ، ما الذى حدث ؟ وهم الذين طالما فاتحوه من قبل فى هذا الأمر ، فلم يجدوا منه غير الصدوف وعدم المبالاة ، لقد كان كلما ذكرت أمامه « الزوجة » أو — النصف الاخر — أو « شريكة الحياة » يبدو عليه كأن الموضوع لا يعنيه ولا يفهم مغزاه ، ويبسم أحيانا ابتسامة المعجب لغلو الناس فى الوصف وإسرافهم فى التعبير . لقد كان يحس إحساسا أكيدا أنه كامل بنفسه .

وأنه واحد صحيح لا نصف ولا ثلث ولا كسر من عدد . إنه درس الحساب والجبر والرياضيات العليا فنذا يقنعه بانه أقل من رقم . وأنه نصف فقط ، وأن هنالك نصفاً آخر فى مكان ماينقصه ليكون الناتج واحدا صحيحا . هذه المسألة الحسابية الآدمية من الذى وضعها ؟ ولماذا ؟ ولمصلحة من ؟ لا . . لا . . إنه لا يظن الطبيعة مشغوفة إلى هذا الحد هى الأخرى بعلم الحساب . . لتجعل من الرجال والنساء أرقاما أو كسورا من أرقام تجمع بينها وتطرح. كان هذا كلامه فيما مضى . أما الآن فهو يقول لأصحابه : — صدقتم . الحياة حساب . . الحياة مسألة حسابية . أنا كسر . . أنا نصف . . اجمعونى من فضلكم على النصف الآخر ! — لكن بقيت المعضلة الكبرى : كيف العثور على ذلك النصف ؟ هل يترك الأمر للمصادفة أو عليه هو بالسعى ؟ هل القدر هو الذى يخط على لوح الوجود — بالطباشير — جامعاً الأنصاف بعضها إلى

بعض ؟ أو أن على الرقم المشطور أن ينفلت هو بنفسه من تحت إصبع القدر وطباشيرته ويسرع زاحفا على اللوح بحثا عن بقيته ؟ ولبث المهندس أياما لا يلقى على معارفه المتزوجين غير هـــذا السؤال الذى لا يتغير : — كيف عرفت زوجتك ؟ — وكانت الإجابات مختلفة — فمنهم من يقول : — رأيتها فى سهرة عند بعض الأقارب أو الأصدقاء ، ومنهم من يجيب : قابلتها فى سوق خيرية فأعجبتنى فسألت عنها ، ومنهم من يذكر : — كانت على البلاج ، فتبعتها وعرفت عنوانها ، ومنهم وهم الندرة فى هذا الزمان ممن يؤمنون بالنصيب أو — اليانصيب — ولا يرضون بطرائق الاختيار الحديثة همسوا له : والله البركة فى الخاطبة أم شلبى — وحار المهندس فى هذه الأساليب جديدها وقديمها ، ولكنه لم ينكر ولم يرفض ولم يعترض . . . لقد قبلها كلها . كل سبيل يؤدى إلى شطره الآخر لن يتردد فى سلوكه ، لقد فتح عينيه

واسعتين ذهب بهما يجوس خلال السهرات والطرقات والشواطىء والأسواق . لكن . . . وا أسفاه ، أما هذه فقصيرة وأما تلك فطويلة . . والأولى أنفها لا يروقه والثانية فمها لا يعجبه . . ثم إذا هو أغضى عن المظهر فمن يدريه بالمخبر ؟ لقد جند كل أصدقائه وزوجاتهم للبحث معه . ذلك أنه لم يكن له أقارب فى القاهرة . . . فان أهله فى الريف . . وليسوا مما يحسنون فهم ما يريد . . ولم تكن صلته بهم تبيح لهم التدخل فى شئونه فقد كانوا أقارب من درجة بعيدة . . لأن والديه ماتا بعد تخرجه فى الجامعة بقليل . . . لذلك كان اعتماده على معارفه . .وأغلبهم كان يرتاب فى أنه يأخذ الأمر اليوم على سبيل الجد . فكانت معاونتهم له ضئيلة فاترة فى أكثر الأحيان ، ثم زادهم فتوراً وانفضاضا من حوله ما رأوه من تردده فى الاختيار وعدم بته فى الأمر ، ونبذه كل فتاة عرضت عليه بحجج مختلقة ، على أنه لم يكن فى الحقيقة

متعنتا ولا متعللا . إنما هو ذهنه كان قد صور له إمرأة بملامحها وخصالها ، وأوهمه أن تلك هى نصفه الذى لا يرضى به بديلا . فهو لا يريد أن ينتقى إلا طبقا للنموذج الموضوع فى رأسه . وطال بحثه عبثا وذهب جريه سدى . فقعد ذات مساء يائسا ونظر إلى السماء قائلا : — تعبت أيها القدر الكلمة لك أنت الآن . سأغمض عينى وأمد يدى فضع فيها من تشاء ! — وما جاء الصباح حتى أرسل فى طلب الخاطبة أم شلبى ، نعم ... ولم لا ؟ ما دام قد نزل عن نماذجه وصوره ، وقنع بالنصيب المكتوب فى اللوح ، وأسلم قياده للقدر يخط بيده ما يريد .. فماذا يصنع غير ذلك ؟ أليست أم شلبى من عملاء القدر أو من أدواته ؟ ... من يدرى ؟ لعلها هى الطباشيرة فى أصبعه . إذ لا يمكن للقدر أن تكون له وسيلة أخرى يفرض بها فى مثل هذا الأمر إرادته السماوية وأقبلت تلك — الطباشيرة — فاذا هى امرأة ضخمة بدينة

سمينة جسيمة كأنها فيل . وهل ينتظر أن يملأ يد القدر أو يليق بأصبعه حجم أقل من هـذا الحجم ؟ ! وعرض المهندس الخاطب طلبته ، ووصف لها على قدر الإمكان بغيته . فمضت المرأة واختفت أياما ثم عادت ومعها سجل حافل بأسماء الأسر ومنديل كبير يضم عددا من الصور الفوتوغرافية لفتيات على كل طراز فوقع فى حيرة جديدة كيف يتخير وأيها يختار ؟ وحدثته الخاطبة فيما حدثت عن فتاة تصلح له . . ولكن — ياخسارة ! — تقدم إليها خاطب طيب ليس من السهل رفضه . تصلح لى ؟ وأين صورتها ؟ — وخيل إلى المهندس فى تلك اللحظة — ان هذه الفتاة هى إمرأته ونصفه وحله . وأن عليه أن يختطفها من منافسه اختطافا . وأين صورتها ؟ فقالت الخاطبة إن أهلها رفضوا كل الرفض أن يعطوها أية صورة لها . . . ولكنها جميلة وأى جمال . . . فتشبث المهندس بأذيال الخاطبة وصاح : — لا بد من الصورة —

فتفكرت المرأة مليا ثم نظرت إليه نظرة دهاء . فمثلها لا يعجز عن الحيلة . لقد لمحت فى بهو الدار صورة الفتاة معلقة على الحائط . . فهى ستذهب إليهم لتخبرهم بأمره .. ثم تغافلهم وتخطف الصورة المعلقة وتأتى بها إليه . نهضت من فورها وذهبت وتركت المهندس فريسة ذلك الإحساس إنها هى . إنها هى . . . لقد وجدها أخيرا ما سر هذا الشعور ؟ أتراه الغموض الذى يشملها ؟ إنه لم يرها وينازعه فيها منذ الآن منازع . . كيف هى ؟ وهل يفوز بها ؟ إنه واثق أن صورتها هى صورة المرأة التى يبحث عنها . ولبث يفكر فى ذلك طول مسائه . . . وتقدم الليل وأراد أن يأوى إلى فراشه . . . ولكن النوم استعصى عليه فقام وأضاء المصباح الكهربائى الصغير فوق رأسه ، وتناول كتابا يهدىء من أعصابه الثائرة . . وإذا نظره يقع على صفحة تحتوى قصة قديمة لرجل من بلاد السند كان يبحث هو أيضا عن زوجة أحلامه ، فكان بحثاً ممضاً على غير طائل ، فقال

له قائل : لانيأس . ابحث عن الزوجة ولو فى الصين . فلم يبطىء الرجل . وركب فى الحال البحر إلى بلاد الصين فكسر المركب به وبمن معه فى وسط البحر . فنجا مع بعض القوم على خشبة من خشب المركب ، ووقعوا فى مكان لايدرون أى مكان هو فأقاموا فيه أياما لايجدون قوتا حتى أشرفوا على الموت ، فقال بعضهم لبعض : تعالوا نعاهد الله على أنفسنا أن ندع له شيئا فلعله يرحمنا ويخلصنا من هذه الشدة : — فقال بعضهم . أصوم فى كل عام شهرين — وقال البعض : أصلى فى كل ساعة ركعتين وهكذا . إلى أن قال كل منهم شيئا والرجل طالب الزوجة ساكت فقالوا له : قل شيئا ! فحار ولم يجىء على لسانه إلا قوله لا آكل لحم فيل أبداً ! فصاحوا به : — الهزل فى مثل هذا الحال ؟ ! فأجابهم : والله ما تعمدت الهزل ، ولكنى منذ بدأتم وأنا أعرض على نفسى شيئا أدعه لله فلا يخطر على بالى غير الذى لفظت به ، ومرت اللحظات بهم ، فقال أحدهم : — لم لا نطوف فى هذه الأرض متفرقين بحثاً عن القوت فمن وجد ،

شيئا أنذر به الباقين ، والموعد هذه الشجرة ؟ فتفرقوا فى الطرق . وإذا أحدهم يرجع بعد قليل بولد فيل صغير ، فلوح بعضهم لبعض فاجتمعوا . وأخذوا الفيل الصغير واحتالوا فيه حتى شووه ، وقعدوا يأكلون ، وقالوا للباحث عن الزوجة تقدم وكل منا ، فقال : أنسيتم أنى منذ ساعة تركته لله . إنى لن أرجع فى شىء تركته لله أبداً . . . ولو كان فى ذلك موتى جوعا ! وأكل أصحابه بدونه ، وأقبل الليل ، فتفرقوا إلى مواضعهم التى كانوا فيها يبيتون . وأوى هو إلى أصل شجرة كان يبيت عندها ، فلم يكن إلا لحظة ، وإذا بفيل عظيم قدأقبل وهو ينعر والخلاء كله يندك بنعيره ، وهو يطلب القوم . فقال بعضهم : قد حضر الأجل ، فاستسلموا وتشهدوا وأخذوا فى الاستغفار والتسبيح ، وطرحوا أنفسهم على وجوههم . فجعل الفيل يقصد واحداً واحداً ، فيشمه من أول جسده إلى آخره فاذا لم يبق فيه موضع إلا شمه ، شال إحدى قوائمه فوضعها عليه وفسخه ثم تركه كالعجين وقصد آخر ففعل به مثل ما فعل

بالأول . . . إلى أن لم يبق من القوم غير الباحث عن الزوجة ، وهو جالس منتصب يشاهد ماجرى ويستغفر ويسبح ويقول : قاتل الله ذلك الذى نصحنى هذه النصيحة الشؤم ، وأخرجنى من بلادى فى طلب . . . . ولم يتم كلامه . . . فان الفيل لم يمهله وقصده للفور . فارتمى الرجل على ظهره مستقبلا الموت ، وجعل الفيل يشمه كما شم أصحابه من قبل ، ثم أعاد شمه مرتين أو ثلاثة ، ولم يكن فعل ذلك بأحد من الآخرين ، وروح الرجل فى خلال ذلك تكاد تخرج فزعا . . ثم لف خرطومه عليه فشاله فى الهواء ، فظنه الرجل يريد قتله بقتلة أخرى ، فجهر بالاستغفار ولكن الفيل رفعه بخرطومه وأجلسه فوق ظهره ، وانطلق به يهرول تارة ، ويتهادى أخرى . . إلى أن طلع الفجر واشتد ضوؤه ، فاذا الفيل قد أنزله من ظهره ، وتركه على الأرض أمام باب قصر فخم . . ورجع إلى الطريق التى جاء منها . . ولبث الرجل فى موضعه لايعقل ولا يعى من الفزع والجزع . . ولم يثب إلى رشده إلا وهو داخل

القصر . . فانتبه إلى نفسه . . فاذا هو فى فراش وثير وثياب جديدة وإلى جواره فتاة كالبدر هى ابنة صاحب الدار . . . طفقت تعنى به وهو ينظر إليها ويهمس قائلا : أمن الموت إلى الحياة . . وأى حياة ! إنها هى . . هى ! نعم كانت هى ضالته التى تجشم من أجلها السفر والبحر والخطر . . . فقد تزوجها بعد ذلك وكانت نعم الزوجة والخدين والشريك . . .

وانتهى المهندس من مطالعة هذه القصة القديمة ، وهو يقول لنفسه : أم شلبى . . . هذا الفيل الآدمى . . من يدرى . . لعلها هى الأخرى تحملنى غداً إلى تلك الأسرة التى أجد فى فتاتها ضالتى ! . . وطلع الصبح . وانتصف النهار . وجاءت الخاطبة تحمل فى ملاءتها ، صورة فى إطار ، أمسك بها المهندس متلهفا وتفرس فيها مليا . . ثم طفق يقول كالمخاطب لنفسه : نعم . . لا بأس . . حقيقة . إنى أردت امرأتى هكذا ! وسحبت أم شلبى الصورة من يده برفق ، قائله له إنها ستقع فى الحرج إذا تفقدوا الصورة قبل ردها . . . وأن عليها الآن أن تعود بها

فوراً لتضعها فى مكانها . . وأن ما يجب عليه عمله منذ الساعة وقد راقته الفتاة أن يمضى قدما إلى أهلها فيعرض طلبه ، قبل أن يرتبطوا بالخاطب الآخر ، وإذا شاء فانها تدبر له موعد المقابلة مع أبيها فى أقرب وقت . . فقال لها : نعم ، أسرعى ... الخير فيما اختاره الله ...

لم يمض يوم حتى عادت أم شلبى تلهث وتدعوه إلى زيارة والد العروس ، عصر ذلك اليوم ، وتوصيه أن يكون حريصا على الذهاب فى الموعد المحدد بغير إبطاء ولا تأخير ، فان أهل الفتاة رفضوا بادىء الأمر الكلام فى شأن أى خاطب جديد فهم قد رضوا عن الخاطب الأول ، ولم يروا مبررا لترك هذا الباب مفتوحا بعد ذلك ، ولكن الخاطبة بذلت أعظم الجهد فى إقناعهم بمقابلة هذا المهندس الكفء ، فمن يعلم أين النصيب ؟ وما ضرهم أن يأذنوا له فى زيارة قصيرة ، لقد احتالت وصنعت ما استطاعت لتفتح له ذلك الطريق المغلق ، فلم يبق إلا أن يصنع هو ما يستطيع ليقنع والد البنت ، وهو شيخ وقور متقاعد

من رجال الجيش ، دقيق فى نظامه ، صارم فى أحكامه ، فقال المهندس للخاطبة : « لا تخافى فى الساعة الخامسة بالضبط أكون هناك » ! وقد بر بوعده ، فما أزفت الرابعة والنصف حتى كان قد تهيأ وتجهز وارتدى خير ثيابه ، ووقف أمام المرآة يضع منديله الحريرى فى جيب الصدر ، وينظر إليه وقد تدلى وتهدل ، فرأى أن يخفى بعضه ولا يبرز غير طرفه ، اعتدالا فى ادعاء الأناقة ، واقتصاداً فى إبداء الخيلاء ، ورضى عن مظهره .. فنزل إلى الطريق قاصداً بيت العروس ، وسار فى الشارع وكل شىء فيه مبتهج فرح ، وقد غمر الاطمئنان قلبه فبدد حيرته ، لقد انتقى له القدر شريكته ، فلم يبق إلا أن يتقبلها منه شاكراً ، آه للانسان ! ما أشد عجزه ! هنالك مسائل لا يرتاح إلى حلها إلا إذا سقط عليه المفتاح من السماء ! وهنالك مواقف يواجه فيها الإنسان مفرق طرق ، فلا يسعفه إلا دفعة فى ظهره من يد القدر نحو إحداها . . كانت مثل هذه الخواطر تجول فى ذهن المهندس وهو يواجه مفرق طرق « ميدان سليمان باشا » وإذا

هو فجأة يحس دفعة فى ظهره شديدة قاصمة قد طرحته على الأرض ، وإذا شىء كالعجلات يمر فوق جسمه . . وكان هذا مبلغ وعيه لكل ما حدث . .

* * *

ليس يدرى على التحقيق كم من الزمن مضى عليه وهو فى إغمائه ، لكنه عندما تنبه وجد نفسه على فراش وثير فى سرير مستشفى ، وجسمه كله مغلف بالأربطة الصحية وقد سمع من يهمس حوله قائلا « لا تتحرك » فحول بصره جهة الصوت ، فرأى طبيباً وممرضاً وممرضة فى ثيابهم البيضاء ، وقد علم منهم أنه قد أجريت له عملية « جراحية » وأنه قد كسر له ضلع ، وأنه فى هذا المستشفى منذ أيام ، وأن حالته كانت خطرة بادىء الأمر ، ولكن الخطر زال عنه الآن . . وأنه سائر فى طريق الشفاء . وأراد المريض أن يتكلم وأن يستفسر فمنعه الطبيب من بذل أى حركة أو جهد ... ولم يسمح له إلا بالرد المقتضب على أسئلة رجال الضبط الذين جاءوا لسماع أقواله فى الحادث ،

وقد أجابهم بأنه لم ير شيئا ... لا السيارة التى صدمته ولا لونها ولا سائقها . فختموا محضر تحقيقهم وانصرفوا عنه ، وتأمل هو حاله لحظة واكتفى بالهمس فى أعماق نفسه :

— ضلع مكسور ! . . هذا كل ما وصلت إليه . . أنا الآن كسر بحق ... دون أن أظفر مع ذلك بالتى تكملنى !

ثم ذكر آخر يوم كان فيه صحيحا . . وكان سائراً إلى بيت العروس . . ترى ماذا تم فى هذا الأمر ؟ أترى الفتاة ما برحت من نصيبه ؟ أم أن الخاطب الأول قد سبقه إليها ، بينما هو طريح ، كالجواد الذى سقط فى ميدان السباق ؟ كيف السبيل إلى معرفة النتيجة ؟ لو استطاع على الأقل أن يبعث فى طلب « أم شلبى » ليعلم منها ... ولكن ما الحيلة فى هذا الطبيب الذى يمنعه من الكلام والحركة ؟ فليصبر يوما آخر أو يومين . . يا لسوء

حظه إذا كان قد فقدها بسبب هـذا الحـادث ! الويل للجانى الذى صدمه عند ذاك . إنه لن يغتفر له أبداً . . لا كسر ضلعه، بل تلك الطامة الأخرى ضياع نصفه الآخر بعد أن عثر عليه . .

وحانت منه التفاتة إلى ما حوله ، فوجد ما أدهشه : باقات من الورد والأزهار الغالية فى الآنيات ، وقارورات فاخرات من ماء « الكلونيا » وكتب مجلدة مذهبة لقتل الوقت ، وصناديق ثمينة مفعمة بالحلوى ومملوءة بالسجـاير ... وكل ما يمكن أن يهدى إلى مريض معزز مدلل . عجبا ! . من هذا الذى يهتم بترفه كل هـذا الاهتمام ، ويعنى بشخصه كل هـذه العناية ؟ ! وسأل طبيبه بايماءة من عينه عمن أحضر كل هـذه الهدايا . . فلم يزد الطبيب على أن قال بسرعة وبلهجة من يقول شيئا معروفا للجميع :

ـــ الست .

والتفت الطبيب إلى مرءوسيه يصـدر إليهم الأوامر الأخيرة قبل انصرافه . وغادر الجميع الحجرة من فورهم ،

تاركين المريض مستغرقا فى الدهشة : « الست » ! ومن هى هذه « الست » ؟! وعادت الممرضة وفى يدها أنبوبة زجاجية وحقنة ، ملأتها ثم وخزت المريض بابرتها ... فانتظر حتى فرغت من عملها ، فسألها أن تحدثه قليلا عن تلك « الست » .. وكانت الممرضة ثرثارة . . فتدفقت تصفها بأنها أجمل وأكرم سيدة رأتها . . .

وطفقت تخبر المهندس المريض بطائفة من التفاصيل لم تزده إلا عجبا واستغرابا ، فهذه « الست » الحسناء تأتى كل يوم لتسأل عن صحته . . وهى فى كل مرة تأتى بالأزهار الجميلة ، وتضع النقود فى أيدى ممرضيه بسخاء وترجوهم أن يخصوه بكل عنايتهم ، وأنها كانت فى ساعات الخطر الأولى تسأل عن تطورات حالته فى جوف الليل بالتليفون عدة مرات . . وأنها حضرت « العملية الجراحية » منتظرة فى حجرة مجاورة كى تطمئن على عواقبها . وأنها أصرت على استدعاء « كونسولتو » من الأطباء قبل إجرائها لتزداد اطمئنانا ... وأنها دفعت نفقات

كل ذلك من جيبها بدون تردد . . بل الأعجب أن وجوده فى هذا المستشفى فى هذه الحجرة من الدرجة الأولى الممتازة بكل مايلزم له من علاج وغذاء ورفاهية وترف هى التى تتولى نفقاته وأن المال يسيل من بين أصابعها كالماء فى هذا المستشفى من أجله . . ولا هم لها ولا تفكير إلا فى شىء واحد : « إنقاذ حياته » تلك هى كلمتها التى ترددها كل يوم . . « بأى ثمن وكلما جاءت . . ولكل من تقابل من أطبـــاء وممرضين وختمت الممرضة حديثها قائلة ببساطة :

ـــ طبعاً . . زوجتك . . طبيعى أنها تهتم بحالتك وتضحى بكل شىء ! ... إن شاء الله أبشرها بالأخبار السارة عن قريب ! . .

وخرجت من الحجرة مسرعة ، وتركته يقول كالمخبول :

ـــ زوجتى ! ؟ . .

وجعل يعالج حل هذا اللغز . . إلى أن اهتدى إلى رأى شبه معقول :

لعل هذه « الست » التى يحسبونها هنا زوجته ليست فى حقيقة الأمر سوى تلك الفتاة « العروس » التى كان ذاهبا لخطبتها . ولعلها علمت بالحادث ، وأثر فى نفسها ما وقع له وهو فى طريقه إليها . فحملها ذلك التأثر الشديد على هذا الاخلاص كله فى العناية به . إذا كان ذلك حقا فهى إذن الشريكة المنشودة . نعم ما أكرم نفسها ! وما أسعده بمثلها ! ماذا صنع لها حتى تبذل كل هذا الذى بذلته من أجله ؟ ! ثم لماذا تتحمل هى نفقات علاجه ؟ أتراها اعتبرت نفسها زوجته منذ الآن ، لمجرد أنه كان ذاهبا يطلب يدها ؟ . . إذا كان هذا ما وقع فى نفسها ، فانه ليقرها عليه . . فهو أيضا يعدها زوجته من الآن . . بل منذ اللحظة التى سقط فيها تحت السيارة من أجلها ... يا لها من زوجة عزيزة ... إن رسمها فى رأسه الساعة مشوش مختلط ... ولكنه مع ذلك يذكر بعض ملامحها التى شاهدها فى الصورة ذات الإطار . . لا بد له على أى حال أن يراها سريعا . ليشكرها على الأقل . وانتظر حتى جاءت الممرضة فقال لها :

ـ أريد أن أرى ... زوجتى ...

فأجابته الممرضة بأنها لم تحضر بعد ، ووعدته بأن تدخلها عليه توا عند حضورها . ولبث المريض يعد فى انتظارها الدقائق ثم الساعات ، ثم جاء الليل ، ثم طلع النهار . . ثم مر يوم وثلاثة وأربعة ... دون أن يسمع من الممرضة سوى ألفاظ الدهشة والاستغراب . فهى أيضاً تعجب لاختفاء هذه السيدة الآن . . بعد أن كانت تجىء المستشفى فى اليوم مرتين . . ووقع المهندس لا فى الهم والغم وحدهما بل فى الحيرة أيضا والحرج . . . بماذا يعلل لممرضة وللآخرين هذا التصرف العجيب من زوجته المزعومة . . فآثر الصمت أمامهم والاقلاع عن ذكرها . ولكنه ظل الأيام يحاول عبثا أن يكشف لنفسه حقيقة هذا السر . إلى أن بدرت ذات يوم من الطبيب بادرة أنارت قليلا هذا الأمر . فقد قال له وهو يفحص ضلعه المكسور :

ـ حالتك الآن على ما يرام . تستطيع الآن أن تضطجع

على وسادة خلف ظهرك ، وأن تتكلم كما تشاء . . وأن تقرأ هذه الكتب والصحف والمجلات التى ترسلها لك الست . .

فصاح المريض كالغريق الذى وجد خشبة :

— الست ؟ . . أين الست ؟ . .

فقال الطبيب باسما :

— إنها الآن مطمئنة غاية الاطمئنان بعد أن أكدت لها منذ أسبوع زوال كل خطر . .

— ولكنى . . . أعنى . . . هل حضرت ؟

— لا . . لقد قالت لى فى آخر مرة إنها لم تعد ترى ضرورة للحضور ، ما دام الخطر قد زال . . . وإنها تكتفى الآن بالسؤال عن الحالة بالتليفون مرة كل يومين أو ثلاثة . . .

— هل أستطيع أن أكلف أحداً يطلبها بالتليفون ؟

— بالتأكيد اعط رقم التليفون للممرضة وهى تقوم بذلك فى الحال إذا شئت .

— رقم تليفون « الست » معروف هنا طبعا . .

— لا أظن . . إنها هى التى تطلبنا دائماً . . . ومع ذاك ألا تعرف أنت الرقم ؟ . .

— آه . . طبعاً . . طبعاً . .

وضحك ضحكة يخفى بها ورطته . . وانصرف الطبيب ، وتركه يتخبط فى ظلام أكثف مما كان فيه . من هذه السيدة التى تعطف عليه كل هـذا العطف وهو فى الخطر . فاذا انقشعت غمته وتحسنت حالته ، انصرفت عنه فى غير اكتراث كأنها لا تعرفه ؟ ! ثم كيف يتصل بها الآن والمسالك دونها موصدة . ونادى الممرضة ورجا منها أن تبحث فى إدارة المستشفى وفى كل مكان عن عنوان « الست » أو رقم تليفونها . موهما إياها أن زوجته هذه تتعمد إخفاء مكانها عنه وتتكلف هذا التصرف معه ، لأسباب خاصة ، لكن الممرضة لم تعثر لهذه السيدة على عنوان معروف ولا عن رقم تليفون . . وكل ما يعلمون عنها فى المستشفى أنها هى التى تحضر وهى التى تستفسر دون أن تترك خلفها أثرا . . . ولم يجد المريض آخر الأمر غير وسيلة واحدة . .

ما كاد يهتدى إليها حتى صاح فرحا كمن وجد الفرج . . . والتفت إلى الممرضة قائلا :

— اسمعى ! . . أرجوك . . إذا سألت عنى « الست » بالتليفون فى المرة القادمة ، فأخبريها أنه قد حدثت لى نكسة ، وأنى لن أعيش أكثر من ساعتين ! فترددت الممرضة . فأقنعها بورقة مالية دسها فى كفها . . فقبلت المجازفة بهذه الأكذوبة لوقت محدود . ومضى يومان . . وإذا الممرضة تدخل على المهندس مهرولة لاهثة وهى تقول :

— تكلمت . .

— صحيح !.. تكلمت ....

قالها وقد كاد قلبه يثب من جوفه . فأكدت له الممرضة أن « الست » تكلمت الساعة بالتليفون لتستفسر ، فأجابتها بالرد المتفق عليه ، فذعرت وألقت بالسماعة ، وهى قادمة بعد دقيقتين . فلم يدر المريض ما يصنع من الفرح . . ومد يده على غير وعى منه يلتمس زجاجة عطر الكولونيا ليتطيب . . . وهو يوصى الممرضة أن تدخلها عليه للفور ، وأن لا تنسى

أنه يحتضر . . . وخرجت الممرضة تستقبل القادمة . ولم يمض قليل حتى سمع المريض صوت المرأتين يقترب .. فأغلق عينيه نصف إغلاق ، واستلقى بلا حراك ومثل دور من يموت . . . ودخلت « زوجته » المزعومة وتسمرت بالعتبة تنظر إليه شاحبة الوجه . . فكاد يمثل الموت يموت حقا . . من هذه المرأة ؟ إنها ليست صاحبة الصورة التى فى الإطار ! . . هو الذى وطن النفس وأعد الذهن لرؤية امرأة يعرفها . . أو يعرف رسمها على الأقل ؟ ها هو ذا أمام امرأة جديدة لم يرها قط فى حياته ، ولا يدرى عنها شيئا . . . وانهار كل ما كان قد بناه فى لحظة . فليست هذه المرأة بالعروس التى كان ذاهباً لخطبتها . . وليست هذه العناية وهذا الاهتمام وليد تلك الأسباب التى كان قد رتبها واستنبطها واستنتجها . . . هذه امرأة غريبة عليه وعلى ذهنه وفكره . . . لم يرها من غير شك فى الماضى ، ولم يصادفها فى حقيقة أو خيال . . فمن تكون ؟ ومن

أين طلعت له ؟ وما سر عنايتها به ولهفتها عليه . . وقلقها فى ساعات أزماته . . وتكلفها جميع نفقاته . . هذا هو اللغز الذى فاق جميع ما عداه . ولكن هذه المرأة التى لم يعرفها ولم يرها . . ما أجملها !. . . إنه تخيل فعلا يوماً ما نوعا من الجمال تمناه فى إمرأته . . . ولكنه لم يستطع تخيل حسن كهذا . . إنه لكثير عليه هذا الجمال . . ثم ما أروع وجهها فى هذا الشحوب لقد شحب وجهها هكذا حزنا عليه . . . أهو فى يقظة حقا ؟ . . ثم ما هذا الذى يرى . . يا للعجب ! . . إنها دمعة فضية تترقرق فى عينيها الواسعتين كأنها قطرة ندى . . . ولم تتحمل الحسناء ألمها — فيما يبدو — أكثر من ذلك . فاندفعت خارجة من الحجرة ، وهى تمسح دمعتها بأناملها القرمزية الأصداف ، والممرضة فى أثرها . . ولم يبد المريض حركة ولم يلفظ همسة فقد أذهله ما رأى عن كل شىء . . . ولم يثب إلى رشده ،

وتستيقظ له إرادة ، إلا بعد أن عادت إليه الممرضة وحدها راجية ملحة فى الرجاء أن يكف عن هذه الأكذوبة ، وأن يسمح لها أن تخبر الحسناء بالحقيقة ، قبل أن تتحرج الأمور ، ويبلغ إدارة المستشفى الأمر ، فتتعرض هى للمؤاخذة ، ذلك أن « الست » تصر على استشارة الأطباء ، وبذل كل عطاء لإنقاذه من الموت ، ولم تنتظر الممرضة رأيه أو جوابه . . وأقبلت عليه تعينه على الاستواء قليلا . . . وتضع الوسادة خلف ظهره ، وجذبت إحدى المجلات المصورة ودفعت بها إليه ، وأعلنته أنها ذاهبة تخبر « الست » بالحقيقة ، وتعود بها لتراه وهو فى حالته الحقيقية . . . وخرجت عنه وهو مضطجع كالطفل الذى لا إرادة له ولا عزم . . . المتقبل كل ما يجرى له ويفرض عليه . . . وأخذ يعبث بصفحات المجلة المصورة بعين زائغة وفكر شارد . . . وإذا بصره على الرغم منه يقع على صورة يعرفها . . عجبا ! . . .

إنها صورة للعروس التى رأى رسمها فى الإطار . . نعم . . هى بعينها فى ثياب العرس البيضاء وإلى جانبها شاب فى ثياب السهرة «الفراك» وتحت الصورة عبارة «قران بهيج» ... لقد زفت إذن إلى خاطبها الأول . . . حسنا فعلت ، إنه لا يأسف الآن عليها كثيرا . . . وأرسل بصره إلى الباب نافد الصبر . . معلق الأنفاس . . . وإذا الممرضة تدخل وهى تجذب الحسناء جذبا رفيقا إلى داخل الحجرة ، وقدمت إليها مقعداً بجوار السرير ، وانصرفت فى الحال . ومر كل ذلك مراً خاطفاً . . فلم يشعر المهندس بالحسناء إلا وهما منفردان وجها لوجه ، ولم يكن من اليسير أن يجد أحدهما الكلام الذى يبدأ به . . . فوقعا أول الأمر فى صمت عميق محرج . . . قطعته الجميلة قائلة ، وكأنما تتنفس الصعداء :

ـ أف ! الحمد لله أنك بخير ! . لقد كاد يغمى على الساعة عندما حسبتك تموت ! . . .

فرنا إليها وإلى فمها وهى تنطق هذه الكلمات ، وكأنه لا يصدق أن هـذا قول موجه إليه . ثم تمالك قليـلا وقال لها :

— حياتى شىء مهم عندك ؟

— جداً

— لا يوجد غير تعليل واحد لـكل هذا ، إنى مت حقيقة وانتقلت إلى جنة الخلد ، وما أنت إلا حورية مكلفة بملاطفتى . ولـكن ... أين الشجر والثمر والـكوثر ولماذا هذا السرير والممرضة والمستشفى ! !

— لا .. أنت من حسن الحظ حى ... لأنك لو كنت مت ودخلت جنة الخلد ، كنت أنا دخلت السجن .

— السجن ؟ وما المناسبة ؟ !

— آن الأوان أن اعترف لك ياسيدى بجريمتى . أنا الذى صدمتك بسيارتى . وإنى بالطبـع متأسفة جدا . ولـكنه القدر . . . أقوى منا ومن إرادتنا وتدبيرنا .

كنت مسرعة وهذا خطأ منى ولاشك . . ولكنى كنت مدفوعة برغبتى فى شراء ثوب حريرى رأيته فى الصباح ، وخفت أن تسبقنى إلى شرائه أخرى . وعندما مرت العجلات على جسدك . . لم أقف ومضيت فى السير بعين السرعة . . لا عن قسوة منى ونقص فى المروءة . . . بل عن خوف شديد استحوذ على . . لقد هربت من جسدك الملقى على الأرض كمن يهرب من شبح . . وعدت توا إلى بيتنا غائبة العقل . ورأتنى والدتى فهالها اضطرابى ، وقصصت عليها ما حدث ، فنصحتنى أن أخبر والدى بكل شىء . وهو من رجال القضاء . فلما سمع والدى القصة حار هو الآخر فيما ينبغى عمله . فان التبليغ عن هذا الحادث معناه التعرض للحكم بالحبس إذا مات المصاب ، كما قال لى ، وإذا لم نبلغ فاننا نحتمل تقريع الضمير طول حياتنا ، وإن كرامته كمحام تمنعه من أن ينصح أحداً ولو كان ابنته بالهرب من العدالة . . . وإن حنانه كأب يمنعه كذلك

من أن يدفع بابنته الوحيدة إلى السجن . . وانتهى به التفكير إلى أن ترك لى حرية التصرف . . بعد أن أفهمنى كل النتائج المحتملة لهذا الفعل . . وجعل يعنفنى على جنونى فى سرعة القيادة . . ونصحنى أخيراً أن أتتبع حال المصاب على الأقل وأن أعمل على علاجه وإنقاذه . . فانه إذا شفى لن يقع على من العقاب أكثر من غرامة مالية ولهذا بادرت أسأل أقسام البوليس عن المصاب فى حادث السيارة عصر ذلك اليوم فى ميدان سليمان باشا . . . إلى أن اهتديت إليك .

وأصغى المهندس إلى حديثها ، وكأنه يهبط رويداً رويد من السحاب حتى لاصق التراب . وما فرغت روايتها . . حتى نظر إليها قائلا :

— يالك من مجرمة أثيمة ! . . كسرت ضلعى ، وأضعت خطيبتى ، وبددت أحلامى ! . وكل هذا لن تعاقبى عليه بأكثر من غرامة مالية ! .

ـــ لأنك شفيت والحمد لله !

ـــ أنا شفيت ! وما قيمة شفائى ؟ إن موتى الآن خير من حياتى . . . أكل هذا العطف الذى نلته منك . . وهذه الدمعة التى سقطت من عينيك ، وهذا الشحوب الذى بداعليك لم يكن من أجلى ولا خوفا على . بل خوفا على نفسك من الحبس ! . اسمعى أيتها الآنسة . . أو الست . . أو الزوجة المزعومة . .

ـــ الزوجة ؟

ـــ طبعا . . وماذا تريدين أن يكون ظنهم هنا بسيدة مثلك تعنى هذه العناية برجل مثلى ؟ لقد خطر فى بالهم بالضرورة أنها زوجته ، ولم يخطر فى بالهم أنها قاتلته !

ـــ لاتقل إنى قاتلتك . . فها أنت ذا الآن فى صحة جيدة .

ـــ كم كنت أتمنى أن أموت لتدخلى أنت الحبس . .

ـــ إلى هذا الحد تبغضنى ؟

— هل أبلغت الحكومة أنك أنت الجانية ؟

— لم أبلغ بعد . . لقد رأيت أن أنتظر حتى تشفى . .

— وإذا كنت مت ؟

— كنت ذهبت وقدمت نفسى إلى البوليس .

— أ أنت واثقة أن القضاء كان يحكم بحبسك فى حالة وفاتى من الحادث .

— كان ذلك مرجحاً لأنى من أرباب السوابق .

— أنت ؟ من أرباب السوابق ؟ !

— نعم . . فى حوادث السيارات سبق لى أن صدمت حمارا محملا بالحطب فى طريق عزبتنا فى صيف العام الماضى ، ومنذ ستة أشهر صدمت حماراً آخر يحمل قصباً فى سكة الهرم .

— حضرتك اخصائية فى صدم الحمير ؟ ! BRAVO!

فنظرت إليه وهو مغلف فى أربطته الصحية . . وضحكت ولم يفطن هو إلى « النكتة » ومضى يقول :

— أيتها الجانية . . أنا بصفتى المجنى عليه ، لابد أن يسمع

رأيي فى جريمتك . هل تريدين حكمى أو حكم المحكمة ؟

ـــ حكمك .

ـــ حكمت عليك بالحبس .

ـــ تريد حبسى ؟ !

ـــ فى أحضان الزوجية .

فنظرت إليه وابتسمت ابتسامة المحكوم عليه الذى رضى بالحكم ولن يستأنفه أو يناقض فيه .

* * *

مضى عام على زواجهما ، فأدرك المهندس أن « القدر » حقا قد عرف كيف يهديه إلى « طبقه » وشطره ونصفه وزوجته المثلى . . وقد آمن أن للقدر من الوسائل أحيانا مالا يخطر على بال البشر . . وهل كان مثله يتصور أنه سيلتقى شريكته يوما بهذه الطريقة ؟ ! إن كلمة « النصيب » التى يذكرها الناس دائما فى بساطة ليست إلا مظهراً من مظاهر فن « القدر » العجيب فى تدبير مصائر الآدميين . .

واحتفلا فى المساء بمرور العام على ذلك الزواج ، فهمس فى أذن زوجته قائلا :

— كان لابد لحواء أن تأخذ من آدم ضلعا حتى توجد ، وكان لابد لك من أن تكسرى لى ضلعاً حتى أجدك ! .

کلیوباتره وماک

من أسرار الحرب الأخيرة التى لم يكشف بعد عنها النقاب ما أرويه الآن . وما من صحيفة فى العالم نشرت هذه القصة الغريبة ، التى قد تصدم منطق الإنسان فى القرن العشرين . ولكن هذا لايمنع من أنها وقعت بالفعل . وأرجو أن لايسألنى سائل عن مصدر علمى بها . فهذا ما أقسمت أن لاأبوح به لأحد .

كان ذلك فى عام ١٩٤٤ ، فى جزيرة ما بالمحيط الباسيفيكى اتخذها الجنرال « ماك أرثر » مقرا لقيادته فى حربه ضد اليابان بعد أن اضطر إلى الجلاء عن الفلبين . .

كان المساء جميلا . والشفق مازال يدمى على صفحة سماء

بيضاء كرداء العروس ، والنسيم يهب رقيقاً من البحر الهادىء النائم . . .

وكان « ماك أرثر » جالسا فى شرفة مقره بمفرده ، وقد غرق فى مقعد من القماش كمقاعد الشواطىء ، وأرسل رأسه إلى الوراء على المسند وراح فى شبه إغفاءة . . تحت وقر التعب والإجهاد ، وثقل الأعباء والتبعات . .

لم ينم طويلا . فقد استيقظ فجأة على صوت مجاديف تمس الماء كما يمس المرود الجفن ، وموسيقى تحملها الريح ، وعطور تتضوع فى الهواء . . ففتح عينيه ، فاذا هو أمام منظر عجيب: سفينة من سفن العصور القديمة ، تتهادى فوق الأمواج مقتربة . . مؤخرتها من الذهب ، وشراعها من الأرجوان ، ومجاديفها من الفضة ، تتحرك على نغم المزامير . . . وفى مقصورتها امرأة مستلقية على الحرير كأنها إلهة ، يحرق بين يديها بخور وينتشر عبير ، يلعب بالرءوس ويسحر النفوس . . .

نزلت تلك المرأة من السفينة ، ومشت وكأنها تخطر فى

الهواء .. نحو مركز القيادة ، وهى تقول :

ـ « مارك أنطونى » !

ففرك الجنرال الأمريكى عينيه وهو يقول :

ـ أنا « ماك أرثر » !

ـ نعم ، أقصد « ماك أرثر » إليك جئت . وأنت الذى أريد . . .

ـ من أنت ؟

ـ أنا كليوباترا .

ففحصها القائد بنظره مليا . . . وتأمل ثيابها ودمقسها ودما لجها ولآلئها .. ثم التفت إلى سفينتها العجيبة ، وهز رأسه باسما وقال :

ـ فهمت ، فهمت . إنما الذى أعجب له هو : كيف ستطاعت هوليوود أن تعمل فى هذه المنطقة الحربية بدون علمى ؟ وكيف حصلت على إذن فى ارتياد هذه المياه الممنوعة لإخراج لأفلام التاريخية ؟ وما هى السلطات المختصة التى يمكن

أن تتحمل هذه المسئولية دون الالتجاء إلى رأيي ؟ ! هذه مسألة خطيرة ياسيدتى ، لايحسن الاغضاء عنها . . .

ونهض ، وعلى محياه جد وصرامة . . وأراد دخول مكتبه ليتحرى الأمر فاعترضته الزائرة العظيمة ، ووقفت بجلالها الملكى ، وقالت بصوتها الملائكى :

— قلت لك أنا كليوباترا ، ملكة مصر . جئت إليك من العالم الآخر . ولعلها أول مرة يحدث فيها ذلك ، منذ عرف الناس الحياة وعرفوا الموت . إن عصركم اليوم عصر تقع فيه أعاجيب ، ولكن الأعجوبة الكبرى هى تمكنى من العودة إلى الدنيا . . كيف تمكنت ؟ هذا مالا شأن لك ولا لى به . وأنا لم أحضر لأطلعك على أسرار الموت والحياة . ولكنى أريد أن تصدقنى . . فلأقل لك إذن ببساطة كيف تم هذا ، بطريقتكم ولغتكم التى تفهمونها : إننا بعد موتنا نتلاشى روحا وجسداً كذرات فى الفضاء ، ولكننا لانتعدم . لأنه كما تعلمون لاشىء ينعدم فى الفضاء . . على أن المتعذر دائماً هو جمع هذه

الذرات ، من الكون ، مرة أخرى فى عين الجسد وعين الروح لقد استطعتم بجهاز الراديو أن تجمعوا من الفضاء أصواتا وتنقلوا صورا . . . ولكن أين للموتى ذلك الجهاز الذى يجمع ذراتهم المتناثرة ، فى كيانهم القديم وصورهم الغابرة ؟ لابد أن توجد قوة هائلة تجذب هذه الذرات وتجمعها . لقد حدثت هذه المعجزة فيما يختص بى . . لقد كنت أنت هذا الجهاز ، أو هذه القوة التى جذبتنى ، بدون أن تشعر أنت أو تعى ، إنك لاتدرك أى شبه بينك وبين حبيبى السابق « مارك أنطونى » !

قالت ذلك ، و « ماك أرثر » يصغى إليها مشدوها . لكأن إرادته قد فارقته . . يدرك هذا من قرأ « بلوتارك » المؤرخ اليونانى حين وصف كليوباترا . . إنها ، على حد قوله ، لم تكن فى الجمال بالغة مالم يبلغه غيرها من الجميلات ، ملاحة وجهها لم تكن وحدها مبعث فتنتها التاريخية ، إنما هو حديثها الذى كان ينفذ فى القلوب كالشوكة . كان صوتها هو العذوبة ، ولسانها

قيثارة متعددة الأوتار . تعالجها برشاقة وتمسها بلباقة ، فى مختلف اللغات واللهجات . إن مقاومة سحر حديث كليو باترا كان هو المستحيل . .

وهمس القائد الأمريكى كالمخاطب نفسه :

— « مارك أنطونى » !

— نعم .. ما أعجب الشبه بينك وبينه ! فى وجهه وأنفه وقوامه .. ومشيته ! بل ما أشبه دولتك بدولته . . لقد كان الرومان فاتحى العالم بالسيف ، واليوم الأمريكان هم فاتحو العالم بالتجارة . كان للرومان مجلس شيوخ و « قيصر » . وللأمريكان مجلس شيوخ و « روزفلت » . .

* * *

من اللغو أن نطيل . . . فمن البديهى أن نقول : إن « ماك أرثر » وقع فى حب « كليوباترا » .. وهل دنا منها أحد دون أن يسقط فى أتون غرامها ؟ ومنذ ذلك المساء وهما لا يفترقان . كانت معه كما كانت مع « مارك أنطونى » فى أول حبهما . . لقد قيل إنها والقائد الرومانى كانا

متلازمين الليل والنهار . كانا معاً يهيمان فى الطرقات أحيانا يمرحان ويلهوان . . . هى متخفية فى زى وصيفة وهو فى زى وصيف . . أما اليوم فانها تلازم القائد الأمريكى فى زى « ضابطة » من المجندات ، وقد ألحقت بمكتبه . وهو وضع طبيعى . . وهل يثير التفات أحد أن يكون للجنرال الأمريكى « سكرتيرة » مجندة فى ردائها العسكرى ؟

لم يكن شىء يعكر صفو حبهما غير شبح . . هو دائما عين الشبح : الزوجة .

فيما مضى كانت هى « فولفيا » زوجة « مارك أنطونى » التى هجرها فى إيطاليا . واليوم هى مسز « ماك أرثر » التى تركها فى أمريكا . .

يا له حقا من تشابه عجيب !

كلاهما زوج وأب ، بعيد عن بلاده . وكلاهما يحزن كليوباترا ويزعجها كلما فكر فى العودة إلى امرأته وأولاده . ولم تلبث مخاوفها أن تحققت . فها هى ذى المعركة

الانتخابية تقوم فى أمريكا لاختيار « الرئيس » ورشح « روزفلت » للمرة الرابعة . ولكن نفراً قاموا من جهة أخرى يرشحون أمامه « ماك أرثر » . .

هنا نهضت « كليوباترا » تدرأ عن حسبها الخطر ، فاستعانت بقوة سحرها ونفوذ فتنتها لتصرف « القائد الأمريكى » عن هذه الفكرة ، كما صرفت من قبل « القائد الرومانى » عن الذهاب لمحاربة قيصر . .

لعل هذا هو السر الحقيقى فى انسحاب « ماك أرثر » من الانتخابات الأمريكية !

وهكذا ظفرت « كليوباترا » باستبقاء حبيبها إلى جانبها وأقصته عن زوجته ووطنه وذويه . .

على أنها كانت هذه المرة ذات فأل حسن وأثر طيب على القائد الأمريكى . فقد حفزه قربها وأطمعه ، فتوالت إنتصاراته . وصار يثب من جزيرة الى جزيرة خلف اليابانيين ، يطردهم منها ويستولى عليها . وهو لا يرهب شيئاً إلا أن

يبدو مندحراً أمام « كليوباترا » . . حتى تم له الفوز الأخير واستسلمت اليابان . . ودخل « ماك آرثر » طوكيو دخول الفاتحين . .

ومرت أيام لم ير القائد أجمل منها — وفى ذات عصر ، وقفت « كليوباترا » بجواره وأرسلت بصرها إلى البحر ، وقالت :

— أتدرى يا « مارك » . . أقصد يا « ماك » ما الذى يجول فى خاطرى ؟

— ماذا يا « كليو » ؟

— أتذكر يوم جئت إليك تحملنى تلك السفينة الجميلة ؟ لقد كانت هى عين السفينة التى ذهبت فيها إلى « مارك » فى « طوروس » وقد استدعانى لأقدم حساباً عما نسبوه إلى من معاونتى لأعدائه . ولقد أحب أحدنا الآخر بعدئذ . ولكن برغم ذلك . . أى إذلال وهوان أن يستدعى رأس متوج ليمثل أمام قائد منتصر !

ما قولك يا « ماك » لو استدعيت امبراطور اليابان ليمثل بين يديك ؟

فأجفل « ماك أرثر » قليلا لهذه الفكرة . . إنه لا يجهل خطورة الإقدام على هذا العمل الجرىء . إن « الميكادو » شبه إله فى قومه . .

ونظر إلى حبيبته متردداً متوجسا . . ولكنها استقبلت عينيه بنظرة منها أسكرته . فأحس قوة تدب فى قلبه دبيب الخمر . . وقال :

— سأفعل ! . سأفعل يا كليو !

ولم تمض أيام حتى كان الأمبراطور بقبعته العالية الرسمية السوداء ، ماثلا أمام « ماك أرثر » فى مقر قيادته وهو بقميصه الكاكى . .

واهتز العالم لهذا الحادث !

واستمرت بعد ذلك اللحظات السعيدة ، يرتع فى ظلها الحبيبان ، ويضحكان ويلعبان . .

وخرجا ذات يوم للصيد فى خليج طوكيو .. وكاد النهار يولى و « ماك أرثر » لم يظفر بسمكة . وخجل من الهزيمة أمام حبيبته العظيمة ، فغافلها واتفق مع أحد الصيادين الحاضرين ، على أن يغوص فى الماء ويضع فى سنارته سمكة من صيده الطازج ، ونفذ الاتفاق ، وجذب القائد سنارته ، فاذا بها سمكة كبيرة ، أراها لحبيبته مزهواً . . ولكن كليوباترا لم تكن بالغافلة . . وأعدت للغد عدتها . واتفقت هى الأخرى مع الصياد سراً .. فلما جاء الغد ، وضع « ماك » سنارته فى الماء إلى أن شعر بثقلها فجذبها .. وإذا بها : سردينة كبيرة مملحة مما يباع فى صناديق البقالين . .

ارتفعت عندئذ قهقهة الحاضرين . وكاد القائد الأمريكى يغضب ، لولا قول كليوباترا البارع اللبق :

ـــ أيها القائد الظافر ! .. مالك وصيد السمك ؟ أتركه لنا نحن العاديين والعاديات ! . . أما أنت فصيدك الجزر وان لمد

والملوك والامبراطوريات ! . .

ما من إكليل غار يعدل هذا الاطراء من فم « كليوباترا » !

عند ذاك ألقى « ماك » بعصا صيده ، وأقبل عليها وقلبه يقطر حبا ، وهو يهمس :

— ياعزيزتى كليو !

* * *

لكن الحب شديد النهم . . إنه يأكل كل شيء حتى نفسه إنه لايقنع أبدا . ولا يعرف نهاية ولا حداً . لقد جعل « ماك أرثر » همه الأكبر بعدئذ مطالعة كتب المؤرخين ، اليونان واللاتين ، الذين كتبوا عن كليوباترا . وخرج من هذه القراءة بقلب نهشته الغيرة . . لقد تبين له أن أكثر كلمات حبيبته التى تناجيه بها وتخلب لبه ، سبق أن قالتها بنصها ولفظها لمارك أنطونى !

ودخلت « كليوباترا » عليه يوما ، فأبصرت فى يده كتاب بلوتارك » مفتوحا على فصل يصف أخبارها . ففهمت لساعتها

ما يجيش فى صدر حبيبها المقطب الجبين ، فابتدرته قائلة :

— أرجوك أن لاتصدق مايهرف به هؤلاء المؤرخون !

— كيف لا أصدق والعبارات التى أوردوها هى عين عباراتك التى أسمعها اليوم من شفتيك ؟

— اسمع يامارك ....

— من فضلك . . أنا اسمى ماك . . ماك . . إلى متى تظلين تخلطين بينى وبين الآخر ؟

— ثق أنى لا أخلط . . وإنما لسانى يغلط . . هذا طبيعى أولا تريد للسانى أن يخطىء وهو الذى تعود ذلك الإسم منذ عشرين قرنا ؟ !

— إياك بعد الآن أن تمزجى بيننا . تذكرى دائما ماك رأيته مندحرا . أما أنا فانك رأيتنى منتصراً .

— نعم . . لقد كان حبى له شؤما عليه . أما حبى لك . كما ترى ، سعيد الطالع . يجدر بك أنت أن تذكر دائما أنى عدت إلى الحياة من أجلك . هذا مالم يحدث لبشر غيرك ! .

سكن عندئذ ثائر القائد الأمريكى واستقرت نفسه. ومضت أيام وهو هادئ مطمئن راض عن حبه. ولكن الحب لايرضى ولا يطمئن. لأنه إذا فعل ذلك نام وهو كالقلب إذا نام مات ...

ورنت فى رأس «ماك أرثر» عبارتها الأخيرة: «هذا مالم يحدث لبشر غيرك»! فردد مخاطبا نفسه ذات ليلة:

— حقيقة.. هذا مالم يحدث من قبل.. هذا هو المجد الذى لم يبلغه بشر.. كليوباترا تعود الى الحياة من أجلى!. ولكن من يعلم ذلك حتى الآن؟.. لا أحد سواى... وما قيمة ذلك إذن؟ ترى ماذا يحدث لو أذيع هذا الخبر العجيب، ونشر فى صحف الدنيا: «كليوباترا بعثت لماك أرثر»!!

تلك هى المعجزة التى تتضاءل بالقياس إليها ألف أعجوبة مثل القنبلة الذرية!.

وتملكته هذه الفكرة واستحوذت عليه الليالى الطوال. لابد أن يكشف أمر كليوباترا يتما للعالم المتحضر.. ولم لك

ففاتحها برغبته قائلا :

— اسمعى يا كليو ! . .

— إنى مصغية ياماك . .

— أخبرينى . . هل فكرت فى المستقبل . . أعنى فى مستقبلك ؟

— مستقبلى ؟ !

— نعم . . أتظلين هكذا دائما ضابطة مجندة فى غمار المجندات لايدرى بك أحد ؟ أنت أجمل وأشهر ملكات التاريخ تهبطين الدنيا ، ولا تشعر بك الدنيا ؟ تصورى ، لو أذيع أمر وجودك ، أى أقواس نصر تقام لك فى كل مكان ، وأنا بجوارك نخور بك . . إنهم فى أمريكا يحسدون من يقترن باحدى النبيلات ، فماذا هم قائلون يوم يرون ـ ماك أرثر ـ وفى ذراعه ـ كليوباترا ـ أبهى الملكات وألمع المتوجات ! . .

— أيها الأمريكى ، أهذا هو الذى يشغل بالك الآن ؟ . أهذا هو مصير حبنا ؟ تريد أن تستخدمه أداة إعلان ؟

ـ بل أريد أن يكرمك هذا العصر .

ـ يكرمنى ؟ أتدرى كيف سيكون تكريمى ؟ إنى أعرف ماينتظرنى . سأكون ملهاة للسواح ، يأتون لمشاهدتى من أطراف الأرض ، ومادة للصحفيين والمراسلين لاتنضب ، وموضوعا للنساء فى الصالونات والحفلات والمسرح والسباق يثرن الإشاعات حولى ، وينهشن بألسنتهن لحمى ، ويتضاحكن ويتغامزن قائلات : « أهذه هى التى قال التاريخ إنها فتنت القواد والقياصرة ؟ ماذا فيها من حسن وسحر وإغراء يثير الرجال ؟! »

ـ بل ثقى أنك ستكونين أعظم امرأة فى زماننا هذا

ـ أعظم امرأة ثروة . هذا محتمل جدا وجائز جدا . . فان شركات الأزياء الكبرى فى جميع العواصم ستتزاحم عارضة على أبهظ الأجور لأروج لها أثوابها . وشركات الزينة والجوارب ، والعطور ، والصابون ، وكبار الحلاقين ودور النشر ، والمصورين ورجال الصناعة والمال والأعمال . . الخ ولا تنس شركات هوليوود السينمائية . . فمن المؤكد أنها

ستتهافت طالبة إلى القيام بدور - كليوباترا - فى نظير مبلغ لم يدفع قط لإنسان ، وقل مثل ذلك عن مسارح - برودواى - الشهيرة ومن يدرى ماستعرض على أيضا من عمل ومن مال . . .

— طبيعى جدا أن يكون لك مال كثير وثروة ضخمة ، لتقتنى الجواهر والنفائس ، وتملكى فى كل قارة أكثر من قصر وفى كل بحر أكثر من يخت وتعيشى حياة الترف الخليقة بك وباسمك العظيم ! . .

— اسمى العظيم . . حقا سيكون كذلك ، يوم أراه منقوشا بتوقيعى الكريم ، على كل علبة — بودرة — وكل زجاجة — كلونيا — وأحمر شفاه ، وصبغة أظافر . . ! . . هذ هو عصرك . . وهذا هو حبك . وهذا هو كل مستقبلى ! . .

وقامت غاضبة ، وفى عينيها دمعة ، أخفتها بأصبعها ، وانصرفت مسرعة ، فنهض — ماك — خلفها وهو يصيح بها

— كليو . . . كليو ... إنى أمزح .

— لا . . أنت لاتمزح . إنى أقرأ ما فى أعماق نفسك

إنك لن تستطيع طويلا أن تقنع بحبي لك فى زى ضابطة . أنت تريد أن أحبك أمام الدنيا فى ثياب — كليوباترا — وان صبرت اليوم فلن تصبر غدا .. إنى أعرف غرور الرجال ! ..

— لن أقدم أبدا على أمر يغضبك .

وبرق عندئذ فى رأسها خاطر ، فقالت :

— ومع ذلك . . قد فاتنا شىء خطير . ليس فى مقدورك أن تكشف أمرى . . إن ذلك يعرضك لكارثة .

هب أنك أقدمت وأعلنت حقيقتى للناس . . أتعلم ما الذى يحدث ؟

— ماذا ؟

— يحدث لك ما حدث لكل من أعلن مثل هذا الأمر من قبلك : لن يصدقك الناس . . فاذا أصررت ومادريت وجادلت قادوك بكل بساطة الى مستشفى المجاذيب .

— ماذا تقولين ؟

— أقول الحقيقة . لقد كذبت عليك يوم قلت إن

ظهورى لك لم يحدث مثله من قبل لبشر . الواقع أن كثيرين من الموتى يظهرون للأحياء . وأن كثيرين من الأحياء يعيشون ويختلطون بالموتى . إن الحاجز بين العالمين غير موجود . إنه حاجز وهمى ، هو العقل الذى يسدل ذلك الستار بين هذين العالمين . ولكن من الناس من يخرج أحيانا على سلطان العقل ، فيرفع فى الحال الستر لنفوسهم ويبصرون ماوراءه ويمتزجون بمن خلفه . فاذا احتفظوا بهذا السر لأنفسهم سلموا . . أما إذا باحوا به فقد اتهموا بالجنون . . ثق أن كثيرين قد ظهرت لهم - حتشبسوت - و - نفرتيتى - و - سميراميس - كما ظهرت أنا لك . . وعاشوا متحابين آمنين مابقى السر مكتوما . . أما الذين فقدوا ضبط أعصابهم فأعلنوا ذلك للناس ، فهم أولئك الذين تراهم يعمرون مصحات الأمراض العصبية والعقلية .

— ما أظلم الناس ! . .

— بل ما أظلم العقل ! . . هو الحاكم المسيطر فى حياة البشر ، الذى يحجب عنهم نصف الوجود ، فمن جرؤ ونزعه

ليري خارجه .. لم يقل الناس إنه تحرر ، بل قالوا إنه مرض .. ذلك أن هذا الحاكم الجبار كل طاغية ، لا يسمى الخارج عليه متحررا ، بل يسميه مريضا يستحق العلاج والحبس . .

— من حسن الحظ أن أمريكا بلد الحرية ، ونحن فيها نكره الطغاة والمسيطرين . . وإنك سترين للحرية تمثالا عظيما عند مدخل نيويورك . . فاطمئني ياكليو ، ولا تخافي شيئا . .

— ستبوح للناس إذن ؟ . .

— لا . لا . . لم أقل ذلك .

— أرى في عينيك . .

— إذا وافقت أنت . ومن يدري ؟ قد توافقين يوما . .

— سترى إذن ما أصنع . .

* * *

مرت أسابيع .. وإذا صحفي ذو شأن يأتي من نيويورك يجري حديثا مع ـ ماك أرثر ـ . .

وطالعت ـ كليوباترا ـ في وجه القائد الأمريكي ما رابها

وأثار قلقها . . وأدركت أنه قد لايستشيرها ، ورجحت أن لسانه سينطلق .. وأنه قد يضعها أمام الأمر الواقع وجها لوجه .. ويقدمها للصحفى قائلا :

— « الملكة كليوباترا » أو « مسز كليوباترا » ! .

لم تطق هذه الفكرة . . وأسرعت من فورها تبحث عن ثعبان . . .

لقد جربت الموت من عضته . إنه لايحدث تشنجا ولاتمزقا بل يغرق الإنسان فى شبه نعاس هادىء يتمنى من يقع فيه أن لايصحو منه .. إلى أن تضعف حواسه ويموت موتا لذيذاً ..

غير أنها ذكرت وقتئذ أن ـ الاسبيرين ـ يحدث اليوم عين الأثر . . . فاضطجعت على فراشها وهى بملابس الضابطة . . . وابتلعت أنبوبتين . . .

وعلم ـ ماك أرثر — بالحادث . . فدخل عليها مسرعا ، فوجدها فى النزع الأخير . وانحنى عليها متفجعا ، وهمس فى أذنها :

— كليو .. كليو .. ماذا صنعت !

فقالت وهى تحتضر :

— هل أخبرت الصحفى ؟

— كلا يا كليو .

— ماك .. احفظ سرى فى قلبك وحده ! .

وأسلمت الروح .. للمرة الثانية .. وربما للمرة الثالثة أو العاشرة .. أو المائة .. لا أحد يدرى ...

* * *

ظل هذا السر مكتوما بالفعل زمنا . . إلى أن مرض — ماك أرثر — بحمى خبيثة ، فجعل يهذى فى الليل ، ويقول للممرضة القائمة على فراشه :

— كليو .. كليو .. هل عدت إلى الحياة مرة أخرى من أجل ؟ !

وحار جميع من حوله فى أمر — كليو — هذه . . فهم لم يسمعوا — الجنرال — يلفظ هذا الإسم أمامهم من قبل ...

وتساءلوا من تكون ؟ أتراها تلك الضابطة — مسز كليتون — سكرتيرته التى أمضها الأرق ، فباتت منتحرة بالاسبيرين ؟ ! .

هكذا قال من أخذ الأمور بظواهرها . . ماالحقيقة التى لم تنشر حتى الآن ، فهى التى رويت هنا بحذافيرها ولمن يرتاب أن يلجأ إلى الجنرال — ماك أرثر — نفسه . . . وهو لن يستطيع أن ينفى الواقعة .

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARY

موقف حرج

حدث ذات صباح أن كنت جالسا على أفريز المقهى المعتاد بجوار صديقي حسن « بك » . وهو ليس من أصحاب الألقاب ولا حملة الرتب ولكن هكذا تناديه ، لأن حب المظاهر شيء في دمه ، والرغبة في « التظاهر » طبع فيه .

مر بي في ذلك اليوم مصادفة ، فأجلسته وأكرمته ، ولم أكن رأيته منذ شهور . وأمرت له بفنجان من القهوة . وأخذنا في الحديث .. وإذا شخص يدنو مني مبتسما مترددا فالتفت إليه وبادرته :

— من حضرتك ؟

— أنا اسمي ... مرقص ..

— طلباتك ؟

فمال على أذنى هامسا :

— هل تقبل أن تكسب خمسين قرشا فى اليوم ، وأنت جالس فى مكانك ، هذا ، بدون أن تصنع شيئا ؟

— بالطبع . لا موجب للرفض

قلتها على البديهة ، كأنها من وحى الشعراء ، فبادر الرجل يقول :

— إذن اتفقنا . . وهذه دفعة على الحساب . . وأخرج بالفعل ورقة مالية من فئة الخمسين قرشا ، دسها فى كفى ، فوضعتها على الفور فى جيبى ، وأنا أقول :

— اتفقنا .

وانصرفت عنه إلى استئناف الحديث الذى انقطع بينى وبين حسن « بك » ولكن الرجل حدجنى بنظرة شديدة وقال :

— ألا تسألنى عن أصل الموضوع ؟!

— أى موضوع ؟

— لماذا إذن أعطيك هذه النقود ؟

— وهل أنا أعرف ؟ كل معلوماتى فى الأمر ، أنه قد تم بيننا اتفاق . ألم يحصل بيننا الآن اتفاق ؟ . ألم يقع عرض وقبول ؟ أما من جهتى فقد قبلت وانتهى الأمر . . بهذه المناسبة أحب أن استفسر منك لماذا تعطينى هذا المبلغ ؟

— أخيراً . اسمع ياسيدى . المسألة بسيطة . أنت تجلس هنا دائما تراقب المارة فى غير شىء ، فلن يكلفك جهداً أن تراقب سيدة يقال إنها تتردد على هذه العمارة . . فتعرف لنا فى أى ساعة بالضبط تدخل ، وفى أى ساعة تخرج ؟

— وما شانك بهذه السيدة ؟

— لا شأن لى بها على الإطلاق ، ولم أراها أبداً . . .

— عجباً ! . . وما الداعى إذن أن تجعلنى شرلوك هولمز فى مسألة لاتعنيك ولا تعنينى ؟ !

فتنحنح الرجل ثم قال :

— فلنتكلم بصراحة . لا أحسن من الصدق والصراحة .

أنا فى الحقيقة المكلف بهذه المراقبة فى نظير مبلغ جنيه ، ولكنى مشغول بعمل آخر ، وليس لدى الوقت الذى يمكننى من أداء هذه المهمة .. ففكرت فى أن أستاجرك من الباطن ، ونتقاسم المبلغ ...

— عظيم يامرقص أفندى . أنت فى الحقيقة هو الذى لايصنع شيئا ويتقاضى خمسين قرشا .

— وأنت أيضا لا تصنع شيئا .

— كيف تقول ذلك يامرقص أفندى ، فأنا الذى سأقوم بكل المهمة .

— بالاختصار تريد أن أنزل لك عن جزء من حصتى ؟ فليكن ماتريد . أنا لا أحب أن أغضبك . إليك عشرة قروش أخرى . .

— خمسة وعشرين من فضلك !

— تريد أن تأخذ ثلاثة أرباع الجنيه وأنا الربع ؟ !

— هكذا العدل .

فنفخ الرجل غيظا . ولكن لم يجد من القبول بدأ . فأخرج من جيبه فرق المبلغ ، ونقدنى إياه دون أن ينبس بحرف . فوضعت النقود فى جيبى ووعدته خيراً ، وانصرفت عنه إلى محادثة جليسى . ولكن الرجل لم ينصرف ، ودنا منى يقول :

ـ حضرتك لم تسألنى عن السيدة .

ـ أى سيدة ؟

ـ التى ستراقبها . كيف ستقوم بمراقبتها وأنت لم تعرف منى أوصافها ؟

ـ حقيقه . غاب عن فطنتى ذلك . اذكر لى أوصافها .

ـ خير من هذا أريك صورتها ، لتنطبع ملامحها فى رأسك جيداً .. إليك الصورة .. أنظر ...

وأخرج من محفظة جيبه صورة فوتوغرافية لامرأة مليحة اطلعنى عليها بحذر وهى فى يده . فقلت له :

ـ هل تسمح لى أن أحتفظ بالصورة ؟

— ليس هذا من المستحسن . لأنى وعدت أن أحرص عليها ولا أسلمها لأحد .

— ومن الذى أعطاك إياها ؟

— لا ياسيدى ، هذه أسرار خاصة ، لايجوز لنا الخوض فيها . هذا لايعنينا . فلنعمل فى حدود التكليف ، ولا دخل لنا فى الباقى .

— أهو زوجها ؟

— لا أظن .

— لعله خليلها ؟

— ربما .

— خليلها يشك فى سيرها ويغار على سلوكها ؟ !

— فراستك فى محلها . على كل حال هذا باب أنصحك بأن لاتفتحه أو نفتش خلفه . أسرار العائلات وخفايا البيوت يجب أن تكون عندنا فى الايمان والصون . .

— مفهوم ، مفهوم .

ـ والآن ... أنا معتمد عليك .

ـ اطمئن ... فقط لا أخفى عنك أن ذاكرتى ضعيفة ولا يعتمد عليها ، فمن مصلحة العمل أن تترك لى الصورة ، ولو ليوم واحد ، أرجع إليها وأطابق حتى لايحدث لبس أو غلط . إن السيدات المارات كثيرات . ومن الصعب على مثلى أن يفرز هذه من تلك .

ففكر الرجل لحظة ، وهرش رأسه قليلا ثم مد لى يده بالصورة وهو يقول : « لا بأس . ابقها معك اليوم » وأوصانى بالمحافظة عليها لحين ردها إليه فى الغد . .

وانصرف مرقص أفندى مشيعا بعبارات التجلة والاحترام وما كاد يختفى عن بصرى ، حتى ملت على جليسى حسن بك وقصصت عليه القصة من أولها إلى آخرها ، مع حذف مسألة الخمسة والسبعين قرشا بالطبع ، وختمت الكلام بقولى :

ـ أنت تعرف أن غفلتى أكبر من فطنتى ، وأن سهوى أكثر من صحوى ، أما أنت فكثير الفطنة شديد اليقظة ، فما

رأيك لو قمت عنى بهذه المهمة . . وألقيت بالك إلى كل سيدة تدخل العمارة أو تخرج منها ، وتطابق أوصافها على الصورة التى سأطلعك عليها الآن . . . على أنى قبل كل شىء أحب أن أصارحك بأن هذا عمل بأجر . .

فضحك حسن بك وقال :

— لا عليك . . . إننى سأقوم به لوجه الله .

— لا ياسيدي الفاضل . الشغل شغل . لا يوجد شىء اسمه لوجه الله . وهل تظن وجه الله يرى بلا ثمن ؟ هذا التعبير خطأ فى خطأ . ولست أدرى من ابتدعه . إن وجه الله لا يشاهد بالمجان ، بل بمصروفات . وإليك البيان : لابد من دفع صدقة وزكاة ونذور وفداء وكفارة ونفقات حج وتكاليف زيارة وإغاثة ملهوف والتضحية فى العيد بخروف .. إلى آخر تلك المبالغ التى لو جمعتها لكان الحاصل رقما لايستهان به . فدع فكرة التبرع وتناول أجر عملك طبقا للأصول المعمول بها فى جميع الأحوال .

ـ أمرك . انقدنى الأجر إذن .

ـ سأدفع لك ثمن فنجان القهوة . . أتقبل ؟

ـ قبلت .

قالها راضيا مغتبطا ، ومد يده ليتناول من يدى الصورة . فقلت له :

ـ مهلا . يجب أن تردها إلى قبل قيامك . فقد وعدت أن أردها إلى الرجل غداً . .

فقال بابتسامة بريئة :

ـ طبعا وما الداعى لاحتفاظى بها طويلا . . فوضعتها فى كفه . . . فرفعها إلى عينيه باسما بغير اكتراث . ولكن . . لم يكد بصره يقع عليها حتى امتقع لونه ، وارتجفت يداه ، وارتعشت شفتاه . . وهالنى أمره فقلت له :

ـ حسن بك . . مالك ؟

فلم يجب . وخيل إلى أن أذنه لم تعد تسمع . وجمدت عيناه على الصورة وتصبب العرق من جبينه . فهززته بيدى قائلا :

ـــ مالك ياحسن بك ؟ هل . . هل تعرفها ؟

فقال بصوت ميت ينشر من قبر :

ـــ كيف لا أعرفها وهى . . زوجتى !

وانتفض الرجل انتفاضة خلت روحه قد خرجت معها ووثب من مقعده ، وانطلق فى الشارع يعدو كالمجنون . ولم يلبث أن غاب عن نظرى الشارد ، وفكرى الذاهل . وكدت أصيح فى أثره :

ـــ الصورة . . . الصورة .

ولكنى تذكرت فجأة كارثته . وأدركت أنها له . وأنه أحق أهل الأرض بحملها والاحتفاظ بها . فملكت نفسى . . وثاب إلى رشدى قليلا قليلا فلعنت يومى . ولعنت مرقص أفندى . ولعنت الخمسة والسبعين قرشا . التى خسرت من أجلها صديقى . وخسر الصديق زوجته وخسرت الزوجة خليلها . . ولو كنت أعلم أن المهمة ستؤدى إلى هذه الفواجع كلها ، لطالبت مرقص أفندى بما لايقل عن خمسة جنيهات . . .

ابلیس نیتصر

اتخذ قوم شجرة ، صاروا يعبدونها . . فسمع بذلك ناسك مؤمن بالله ، فحمل فأسا وذهب إلى الشجرة ليقطعها . . فلم يكد يقترب منها ، حتى ظهر له « إبليس » حائلا بينه وبين الشجرة ، وهو يصيح به :

ـــ مكانك أيها الرجل ! . . لماذا تريد قطعها ؟

ـــ لأنها تضل الناس .

ـــ وما شأنك بهم ؟ دعهم في ضلالهم ! . .

ـــ كيف أدعهم .. ومن واجبي أن أهديهم ..

ـــ من واجبك أن تترك الناس أحراراً ، يفعلون مايحبون .

ـــ إنهم ليسوا أحرارا . . إنهم يصغون إلى وسوسة

الشيطان . .

— أو تريد أن يصغوا إلى صوتك أنت ؟ !. .

— أريد أن يصغوا إلى صوت الله ! . . .

— لن أدعك تقطع هذه الشجرة . .

— لا بد لى من أن أقطعها . .

فأمسك إبليس بخناق الناسك . . وقبض الناسك على قرن الشيطان . . وتصارعا طويلا . . إلى أن انجلت المعركة عن انتصار الناسك .. فقد طرح الشيطان على الأرض وجلس على صدره وقال له :

— هل رأيت قوتى ! . .

فقال إبليس المهزوم بصوت مخنوق :

— ما كنت أحسبك بهذه القوة .. دعنى وافعل ماشئت .

فخلى الناسك سبيل الشيطان . . وكان الجهد الذى بذله فى المعركة قد نال منه .. فرجع إلى صومعته واستراح ليلته . .

فلما كان اليوم التالى حمل فاسه ، وذهب يريد قطع الشجرة

وإذا إبليس يخرج له من خلفها صائحا :

ـــ أعدت اليوم أيضا لقطعها ! ؟

ـــ قلت لك لا بد لى من أن أقطعها . .

ـــ أو تظنك قادراً على أن تغلبنى اليوم أيضا ؟ . .

ـــ سأظل أقاتلك حتى أعلى كلمة الحق ! . .

ـــ أرنى إذن قدرتك ! . .

وأمسك بخناقه . . فأمسك الناسك بقرنه . . وتقاتلا وتصارعا . . إلى أن أسفرت المرقعة عن سقوط الشيطان تحت قدمى الناسك . . فجلس على صدره وقال له :

ـــ ماقولك الآن فى قوتى ؟!

ـــ حقاً . . إن قوتك لعجيبة دعنى وافعل ما تريد . .

لفظها الشيطان بصوته المتهدج المخنوق . . فأطلق الناسك سراحه . . وذهب إلى صومعته واستلقى من التعب والإعياء حتى مضى الليل وطلع الصبح فحمل الفأس ، وذهب إلى الشجرة فبرز له إبليس صائحا فيه :

ـ ألن ترجع عن عزمك أيها الرجل ! ؟

ـ أبداً .. لابد من قطع دابر هذا الشر ! ..

ـ أتحسب أنى أتركك تفعل ! ؟

ـ إن نازلتنى فانى سأغلبك ... فتفكر إبليس لحظة .. ورأى أن النزال والقتال والمصارعة مع هذا الرجل لن تتيح له النصر عليه ... فليس أقوى من رجل يقاتل من أجل فكرة أو عقيدة ..

ما من باب يستطيع إبليس أن ينفذ منه إلى حصن هذا الرجل غير باب واحد : الحيلة ..

فتلطف للناسك وقال له بلهجة الناصح المشفق :

ـ أتعرف لماذا أعارضك فى قطع هذه الشجرة ! ؟ إنى ما أعارض إلا خشية عليك ورحمة بك .. فأنك بقطعها ستعرض نفسك لسخط الناس من عبادها .. مالك وهذه المتاعب تجلبها على نفسك ؟ .. اترك قطعها وأنا أجعل لك فى كل يوم دينارين تستعين بهما على نفقتك .. وتعيش فى أمن وطمأنينة

وسلامة ! ..

— دينارين ! ؟

— نعم .. فى كل يوم .. تجدهما تحت وسادتك !

فأطرق الناسك مليا يفكر ثم رفع رأسه وقال لإبليس :

— ومن يضمن لى قيامك بالشرط ! ؟

— أعاهدك على ذلك .. وستعرف صدق عهدى ...

— سأجربك . .

— نعم .. جربنى . .

— اتفقنا .

* * *

ووضع إبليس يده فى يد الناسك .. وتعاهدا .. وانصرف الناسك إلى صومعته وصار يستيقظ كل صباح ، ويمد يده ويدسها تحت وسادته فتخرج بدينارين .. حتى انصرم الشهر . وفى ذات صباح دس يده تحت الوسادة فخرجت فارغة .. لقد قطع إبليس عنه فيض الذهب . . فغضب الناسك . . ونهض فأخذ فأسه . . . وذهب إلى قطع الشجرة . . . فاعترضه

إبليس فى الطريق ، وصاح فيه :

ـ مكانك ! . . إلى أين ؟ . .

ـ إلى الشجرة . . أقطعها !

فقهقه الشيطان ساخراً :

ـ تقطعها لأنى قطعت عنك الثمن ! . .

ـ بل لأزيل الغواية وأضىء مشعل الهداية ! . .

ـ أنت ؟ ! . .

ـ أتهزأ بى أيها اللعين ! . .

ـ لا تؤاخذنى ! . . منظرك يثير الضحك ! . .

ـ أنت الذى يقول هذا ، أيها الكاذب المخاتل : . .

* * *

وانقض الناسك على إبليس وقبض على قرنه . . . وتصارعا لحظة . . . وإذا المعركة تنجلى عن سقوط الناسك تحت حافر إبليس . . فقد انتصر وجلس على صدر الناسك مزهوا مختالا يقول له :

ـ أين قوتك الآن أيها الرجل ؟ ! . .

فخرج من صدر الناسك المقهور صوت كالحشرجة يقول :

ـ أخبرنى كيف تغلبت أيها الشيطان ؟ ! . .

فقال له إبليس :

ـ لما غضبت لله غلبتنى ، ولما غضبت لنفسك غلبتك ، لما قاتلت لعقيدتك صرعتنى ، ولما قاتلت لمنفعتك صرعتك !

فهرس

صفحة

(١) الدنيا رواية ١١

(٢) نصيب ٣٧

(٣) كليوباترا وماك ٧٥

(٤) موقف حرج ١٠١

(٥) إبليس ينتصر ١١٣

قصص توفيق الحكيم

فى خمس مجموعات

المجموعة الأولى

- وتشمل قصص : ليلة الزفاف ، طريد الفردوس ، مدرسة المغفلين ، لا كرامة لنبي في وطنه ، الشيخ البلبيسي .

المجموعة الثانية

- وتشمل قصص : الدنيا رواية ، نصيب ،
- كليوباترا وماك ، موقف حرج ، ابليس يستعمر .

المجموعة الثالثة

- وتشمل قصص : أنا الموت ، امرأة غلبت
- الشيطان ، أسعد زوجين ، وكانت الدنيا ،
- الاختراع العجيب ، وجه الحقيقة ، أرنى الله .

المجموعة الرابعة

- وتشمل قصص : اعترف القاتل ، الشهيد ،
- العاشق المجهول ، فى نخب العصابة ، عاطفة
- أب ، عبقرية وإفلاس ، دولة العصافير .

المجموعة الخامسة

- وتشمل قصص : سنة مليون ، مؤتمر الحب ،
- الاسطى عزرائيل ، من ليالى مونمارتر ، موزع
- البريد ، زوجة روميو الثانية ، معجزات وكرامات .

١٠٥١ / ٧ / ١٩٤٩

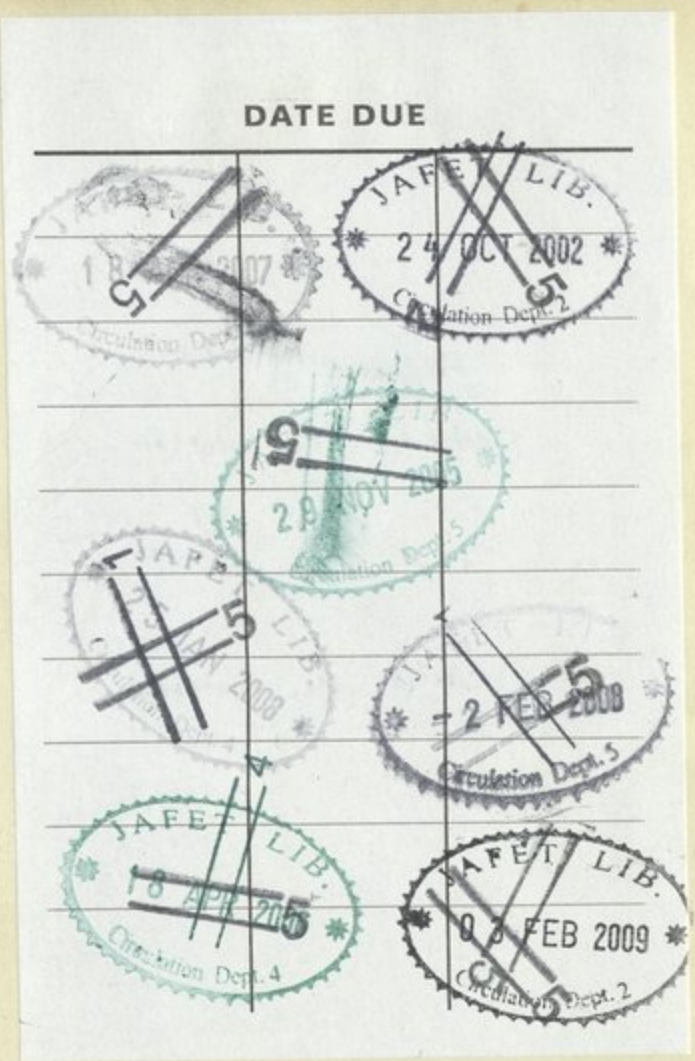
DATE DUE
JAFFE LIB.
24 OCT 2002
Circulation Dept. 2
JAFFE LIB.
- 2 FEB 2008
Circulation Dept. 5
JAFFE LIB.
18 APR 2005
Circulation Dept. 4
JAFFE LIB.
03 FEB 2009
Circulation Dept. 2

الحكيم ،توفيق،
قصص توفيق الحكيم
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
81037798

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT